مجموعة لله اللقاء السعيد » القصصية

لمحمد المجذوب

قراءة في الواقعية الاجتماعية من المنظور الإسلامي

✍ إعـداد

د/ أسماء شوقي بسيوني شريف

مدرس الأدب والنقد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

مُقَدِّمَة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وأصحابه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فإن الأدب الإسلامي فرض خصوصية إبداعية على الأدب العربي والآداب العالمية، فكان لكتاب القصة الإسلامية أثر في النهوض بخصائصه والرقي بسماته الفنية في مواجهة التيار التغريبي بآرائه وتوجيهاته التي دفعت ببعض كتابنا إلى الرضوخ لمذاهبه وأفكاره.

ولهذا احتاج الأدب الإسلامي عامة والقصصي خاصة إلى دراسات أدبية ودعامات نقدية من شأنها دفع رحى الإبداع، وتوجيه الكيان الإسلامي إلى ضرورة الاهتمام بالكتابات الإسلامية، ومن هنا كان اختياري لأحد رموز الأدب الإسلامي في العصر الحديث، وهو الأستاذ « محمد المجذوب » حيث التقيت بمجموعته القصصية « اللقاء السعيد » فجذبني ما ضمته بين دفتيها من قصص قصيرة ذات مضامين اجتماعية في إطار من الواقعية الإسلامية.

وقد تناولت الدراسة في مقدمة وأربعة مباحث كالآتي :

المبحث الأول :

أ– تعريف بالمجموعة القصصية من منظور إسلامي.

ب– الواقعية في التصور الإسلامي.

المبحث الثاني : ويتضمن القضايا الاجتماعية التي احتوتها المجموعة القصصية من منظور إسلامي.

المبحث الثالث : ويهدف إلى إبراز أثر القصة الإسلامية في خدمة المجتمع والدعوة الإسلامية.

المبحث الرابع : ويكشف عن العناصر الأساسية المكونة للشكل الفني للمجموعة القصصية.

ثم **الخاتمة** : وتحتوي على أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال الدراسة، ثم فهرساً **للمصادر والمراجع**.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

الباحثة
د/ أسماء شوقي بسيوني شريف
مدرس الأدب والنقد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالإسكندرية.

المبحث الأول

أ- التعريف بمجموعة للّه اللقاء السعيد للّه

ب- الواقعية فى التصور الإسلامي

أ . **التعريف بمجموعة « اللقاء السعيد » :**

مجموعة« اللقاء السعيد» للأديب الإسلامي الكبير، والقاص البارع، والشاعر الموهوب، الأستاذ: محمد المجذوب[١]، وهي تضم بين دفتيها قصصاً قصيرة « تطابق في مفهومها القصة في العصر الحديث، حيث خلصت لمعالجة الإنسان وشئونه، كما تخلصت من الموضوعات التي أساسها الخيال المحض، وصارت تعالج الواقع الإنساني النفسي والاجتماعي، واهتمت كذلك بصراع الشخصيات النفسي في هذا المجال لتحقيق ما يقومون به من أعمال، وهذه القصص ذات قضايا اجتماعية تتمثل في حقوق الفرد المهضومة التي تتطلب التغيير وتستلزم سعادة الفرد بتعاون وتكافل اجتماعي من نوع جديد، ولذلك فهي من وسائل التعليم والمتعة الشخصية معاً حيث تحرك المشاعر وتوحي بالإصلاح ويكتشف عن طريقها القارئ نواحي في المجتمع قد تغمض على المشرع والاقتصادي. [٢]

كتبت هذه المجموعة من زاوية التصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة، يحاول المؤلف خلالها استقاء رؤياه وأفكاره من واقع الحياة الإسلامية، يعالج قضايا

---

(١) الداعية الأديب محمد المجذوب، ولد في مدينة « طرطوس » في سوريا عام ١٩٠٧م، ولد في بيت متدين لأسرة تعمل بالتجارة ولها صلة بعلوم الدين والعربية، تلقي دراسته الأولية في الكتاب، ثم في مدارس الدولة العثمانية، توفي والده وهو في الخامسة عشرة، فتحمّل عبء الأسرة وحده، وفي السادسة عشرة تم زواجه، شارك في النضال ضد الفرنسيين، وتعرض للسجن والمطاردة والاضطهاد مع إخوانه المناضلين، بدأ نشاطه العلمي والأدبي وهو دون العشرين، حيث نظم قصيدة وطنية نشرتها له إحدى الصحف المحلية، ثم توالى إنتاجه العلمي والأدبي والدعوي حتى بلغت مؤلفاته قرابة الخمسين مؤلفاً، تتطلق معظمها من الرؤية الإسلامية، وتعكس أحداث عصره في سوريا، ومن مؤلفاته القصصية : مجموعة « بطل إلى النار »، « بطل من الصعيد وقصص أخري »، « قصص لا تنسي من تاريخنا »، « اللقاء السعيد وقصص أخري »، « قصص لا تنسي ».- توفي رحمه الله في سوريا - في حزيران ١٩٩٩م.

(٢) مجموعة « اللقاء السعيد » – المقدمة – ص٥، ٦ بتصرف، ط الأولي، ١٤٠٢،١٩٨٢م.

الأمة، ويصور ما تعانيه على مستوي الفرد والمجتمع، متخذاً من القرآن الكريم والحديث الشريف نبراساً يضئ السبل، ويوضح الحقائق ويضع الحلول التي تغفل عنها الجماعة في إطار انسياقها خلف القوانين والتشريعات الوضعية.

وهذه المجموعة القصصية جزء لا يتجزأ من الأدب الإسلامي الهادف الذي يجمع بين إيجابية الموضوع وجودة الأداء في إطار الواقعية الإسلامية التي تجسدها شخوص القصص وتحدد أبعادها رؤى وأفكار عميقة ضمنها الكاتب سطور قصصه التي نفذت بسردها وحوارها إلى صدور قلقة تناجي بارئها، وتستلهم نجاتها عن طريق الهداية.

ومن هنا عرض الكاتب القضايا الاجتماعية في إطار الواقعية الإسلامية، التي تمس واقعنا المعاصر من جوانب عديدة.

ب- الواقعية في التصور الإسلامي :

إن الإنسان جزء لا يتجزأ من واقعه رغم محاولات الهروب والانسياق وراء الدعوات السلبية التي تدفع لبعض البشر دفقات من الوهم والخيال، يصعدون بها إلى آفاق كاذبة لا تفتأ تقذف بهم إلى نتائج هلامية تفتقد الوعي والإدراك والرؤى الصحيحة.

والرؤية الواقعية انبثقت مع بزوغ فجر الإسلام، فليست جديدة ولا مستحدثة، بل بثها القرآن الكريم في ثنايا قصصه وصوره المتعددة، فكان منبعاً ثرياً استقي منه أدباؤنا ونقادنا الإسلاميون رؤاهم، وحددوا من خلاله أبعاد الواقعية الإسلامية في مجال الدراسات الأدبية عامة، والقصصية بوجه خاص.

ولم تنفرد ساحة القصص الأدبي بالواقعية الإسلامية بل زحفت إليها عدة واقعيات ترافق المد الغربي الذي جني على تراثنا وعلى أدبنا بأيدي أبنائنا الذين اجتذبتهم مفاتن الحضارة الغربية، فانساقوا وراءها كما يتهاوي الفراش على النار، فاحترقوا بلظاها، وكان من نتائج ذلك ظهور هذه الواقعيات في ثنايا القصص الأدبي الذي خطه وأبدعه أدباء مسلمون، ومن هذه الواقعيات : «الواقعية التسجيلية، والواقعية الاشتراكية، والواقعية السوداء"،وباسم الواقعية قامت تلك المذاهب بتشويه صورة الإنسان وتحطيم كرامته وإنكار الفضيلة معني ووجوداً، والاقتصار على إبراز لحظات الضعف البشرية والتأكيد عليها وتضخيمها، وادعاء أن تلك اللحظات هي وحدها التي تصور الإنسان على حقيقته، ولذا تسلط عليها الأضواء، وتضفي عليها صفة البطولة التي تستوجب الإشادة والإعجاب بها ». (١)

ولكن الحقيقة ليست على هذه الصورة النكراء التي دعت إليها هذه المذاهب، ولهذا أقدم القاص الإسلامى على رسم معالم المجتمع من خلال رؤيته المنبثقة عن

(١) الاتجاه الإسلامي في قصص نجيب الكيلاني – د/ عبد الله صالح العريني – ص–٥٩ ٦٠ بتصرف – ط– الثانية – ١٤٢٥هـ– –٢٠٠٥م.

قيم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وهو في ذلك لا يفترق عن الواقع الحقيقي ولا يخالفه لأن « الدعوة إلى رسم معالم صورة المجتمع الإسلامي لا تعني الحجر على سلوك الناس وضبطهم في قوالب مسبقة، وإنما هي دعوة لتوضيح الأبعاد التي يتيحها الإسلام لحركة الإنسان داخل المجتمع وداخل نفسه، وكيف أنها تقوم على منطق تنظيمي معجز يستهدف وضع كل إنسان في موضعه الصحيح الذي ينسجم وإمكاناته وتطلعاته، ومن ثم يتيح له تقديم النسبة القصوى من طاقاته في بناء الحضارة ». (١)

ومن هنا فإن القاص الإسلامى يهدف إلى رسم الواقع كما يجب أن يكون، وليس حتماً كما هو واقع فعلاً بسفاهاته ومتناقضاته، وهذا ليس معناه انفصال مثالية الإسلام عن الواقع ؛ لأن « مثالية الإسلام هي الواقع مهما بدت هذه المثالية غريبة عن واقعنا الذي أدي انحرافه الشديد عن الفطرة الإنسانية إلى تضخيم الفرق بينه وبين مثالية الإسلام حتى ليبدو لنا هذا الفرق أحياناً أخطر مما يمكن إزالته أو التقريب بين طرفيه.

ولابد هنا من أن نفرق بين واقعية القصص الإسلامي وواقعية الأرض، أو لنقل بين واقعية « الحقيقة » وواقعية « الانحراف »، والحقيقة دائما فوق الواقع ؛ لأن الواقع ليس هو الحقيقة بل صورة طينية ممسوخة عنها، إنه "الحقيقة في البدء، ولكن هذه البداية بداية حقيقية لا تلبث أن تتلوث وتتشوه وهي تقطع طريق الحياة الإنسانية.....، حتى تنتهي إلى شكل من أشكال «الواقع الإنساني." (٢)

ومن هذا المنطلق تفترق رؤى القاص المسلم ورؤى غيره من الكتاب لشخصيات القصة وأحداثها في إطار الواقع الذي يصوره كل منهما، فهو يلقى

(١) النقد الإسلامي المعاصر –، عماد الدين خليل – ص–٢٠ ط– الأولي – بيروت ١٣٩٢هـ – – ١٩٧٢م.

(٢) الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد – د/ أحمد بسام ساعي ص–١٦٠.

الضوء على لحظات الانتصار وعلى النزوات، ويصور لحظات الضعف والهزيمة كذلك، ولكن دون تصويرها في إطار مسيطر على توجه الشخصية إلى النهاية.

ومن هنا تظهر شفافية الواقعية الإسلامية ذات النظرة الصحيحة المتوافقة مع طبيعة الدين الإسلامي، فللقصاص المسلم نظرة خاصة إلى الكون وإلى الحياة وإلى الإنسان خليفة الله في أرضه، نظرة منبعها الإحساس بالمسئولية تجاه المجتمع مع إخلاص وصدق إنساني وأدبي.

« فتصوير واقع الحياة، أحد مسئوليات الأديب المنوطة به، ولا يعني ذلك أن يقدم لنا الكاتب وصفاً مطابقاً للواقع تماماً، ولا أن يعكف على دراسة مشكلات الحياة، ليقدم الحلول لها، فذلك كله ليس من شأن الأديب، لكن المطلوب منه أن يجعل من الواقع مصدراً يستقي منه أعماله الأدبية، بحيث نري من خلالها صورة صادقة وواقعية للحياة والناس في مجتمع الأديب وبيئته التي يعيش فيها».[١]

وهذا الصدق في الإبداع « أول عنصر توحي به إنسانية القصة....صدق الإحساس وصدق التعبير، حيث لا صنعة ولا تزيد، والصدق في القصة الإسلامية لابد له أن يعتمد على نفاذ البصيرة، فإنه لا سبيل إلى الإحساس الصادق، والتعبير الصادق إلا إذا كان الكاتب مزوداً بقوة الفهم للنفس الإنسانية، وسبر أغوارها، وبالحذق في تصيد خوالجها الباطنة.

ومعلوم أن الصدق الشعوري والصدق الفني من خلال براعة التصوير لأحداث القصة وعرض موضوعاتها لمعالجة واقع اجتماعي ينبغي إصلاحه، إنما ذلك دليل الإخلاص في العمل الأدبي، وأي قصة أدبية تحيد عن هذه القيم أو هذه الخصائص إنما هي قصة لا يزيد طنينها على أن يعبر الأسماع، ولا يمكن أن يكون سلطانها إلا بارد الأثر عاجزاً عن أن تستجيب له النفس ».[٢]

---

(١) الاتجاه الإسلامي في قصص نجيب الكيلاني – د/ عبد الله العريني – ص–٥٩.

(٢) من بدائع الأدب الإسلامي – محمد بن سعد الدبل ص–٩٦ – ط– دار البلاد – جدة – بدون تاريخ.

فالواقعية الإسلامية ليست معالجة سطحية للواقع الاجتماعي وقضاياه فقط، بل هي إحساس وشعور بالمسئولية ورؤية صادقة لتجاوب الكاتب مع المجتمع وشعوره بالمتغيرات التي تؤثر فيه سلباً وإيجاباً

وسنعرض في المباحث التالية صورة للكاتب الصادق الذي تجاوب وانفعل بقضايا مجتمعه فاندفع يرسم معالمها وأبعادها بصدق وإخلاص من خلال عرضه لصور واقعية ونماذج بشرية تمثل القيم الإسلامية وأثرها في الرقي بالحياة البشرية وتخليصها من سيطرة الجوانب المادية، مع ارتفاع بروحانية السلوك وإيجابية التفاعل، ورصد للمواقف ذات التأثير الذي يخلف انطباعاً في نفس المتلقي لشعوره بالواقعية الإسلامية الصادقة النابعة من ثنايا قصصه.

المبحث الثاني

قضايا المجتمع المسلم

في مجموعة اللقاء السعيد

مدخل :

إن الأديب جزء لا يتجزأ من مجتمعه، يتفاعل مع قضاياه، ويشارك برؤاه وأفكاره في حلها ومعالجتها، وقصص الكاتب « محمد المجذوب » تتعانق في مستوياتها المختلفة بقضايا مجتمعه المعاصر، وتكشف عن رؤية الكاتب وتأثره بما يجري في مجتمعه من تغيرات ومساوئ قد تودي بفئة غير قليلة، فانبري يدافع عن كيان الأمة الإسلامية بتناول بناءٍ لكثير من الظواهر السلبية وإضاءة جذابة لإيجابيات المجتمع التي تمثلها فئاته المختلفة التي لم يغفل عنها، بل رصد ما تعانيه من صراعات نفسية ناتجة عن غزو فكري واجتماعي للعقيدة الإسلامية .

وهو حين يعرض هذه القضايا في إطار الواقعية الإسلامية، ليس هدفه فقط مجرد الإثارة، وإنما يدعونا إلى التجاوب مع أحداثها، وإلى تفهم مغزاها لنحدد بأنفسنا أبعاد الأزمة، بل وكان صوته يتراءى لنا من خلال الشخصيات يدعونا إلى مشاركة إيجابية لوضع حل للقضايا المطروحة على ساحة المجتمع الإسلامي.

أولاً : المرأة بين التحرر والالتزام :

"اجتاحت المجتمع الإسلامي تيارات اجتماعية تبنت قضية المرأة، وجعلت من أهدافها الدعوة إلى تحريرها، وقد كان من أثر هذه الدعوة أن طغي تيار التغريب على فكر كثير من النساء في بعض المجتمعات الإسلامية، حتى صارت المرأة المسلمة الملتزمة بدينها، أو التي تحاول الالتزام . سلوكاً وفكراً- عرضة للسخرية أو الاضطهاد، بهدف جعلها تساير ركب التغريب الطاغي في المجتمع »."[1]

وأصبحت المرأة في صراع عنيف بين الانسياق وراء مظاهر الحياة المادية الجديدة التي طرأت على مجتمعها وبين الالتزام بمبادئ الدين الإسلامي، والرؤية الصحيحة للحياة، وفي ظلال هذا التخبط والصراع نشأ كثير من الجدل بين مدافع عن التحرر، وبين داعية للالتزام، واتخذ هذا الجدول صوراً متعددة كانت ثمرتها التفات كثير من النساء إلى ضرورة الالتزام، فهو الحرية الحقيقية للمرأة، وزورق إنقاذ لها من براثن الشيطان، ولكنها في سبيل ذلك واجهت كثيراً من العقبات.

وقد عالج « محمد المجذوب » هذه القضية الاجتماعية الشائكة في قصتيه « حياة جديدة » و « بين مشهدين » حيث عمد إلى عقد موازنة بين صورتين متناقضتين للمرأة قبل الالتزام وبعده في إطار واقعي مباشر، عبر من خلاله عن المعاناة التي تواجهها المرأة التي تؤثر الفضيلة خاصة حين تتفاعل في بيئة أو وسط يرفضها، فهي تصارع نفسها تارة ثم تصارع فتن المجتمع وضغوطه تارة أخري، فهي بين جبهتين كل منهما تدفع إلى مهاوى الفساد ومجاراة الحياة المادية بزخارفها الباطلة.

وتدور أحداث قصة « حياة جديدة » حول « فاضلة » وأسرتها المكونة من الزوج وثلاثة أولاد، والمجتمع الخارجي المتمثل في الزميلات والزملاء في العمل،

(١) خصائص القصة الإسلامية – د/ مأمون فريز جرار – ص ٢١٠ ط الأولي، ١٤٠٨هـ – – ١٩٨٨م.

وتبدأ القصة بانتهاء فاضلة من عملها اليومي في دار الاستشفاء، حيث تعمل ممرضة في قسم « النساء والتوليد » وهي تشكر الله الذي قدر لها ألا يتجاوز عملها هذا الجناح الهادئ من المستشفي الذي اضطرتها الحاجة للالتحاق به، وتعود بها الذاكرة إلى الوراء، حيث حياة أخري كانت تعيشها هذه المرأة، فتشعر وكأنها ليست هي، ففرق شاسع بين فتاة لا هم لها في الحياة إلا في المظهر والسعي وراء متطلبات الحياة المادية دون التفات إلى الحاجات الروحية التي تسمو بالنفوس، بل أصبحت لا تفرق بين حلال وحرام حيث الاختلاط بالرجال، والتخلي عن الحجاب الشرعي، منساقة خلف التيار الذي جذب زميلاتها في العمل، فتشبهت بهن دون وعي لمخاطر الانزلاق في مهاوي الفساد الذي ينتظر مثيلاتهن، وتتزوج وتنجب ولكن هذا لا يثنيها عن الاستمرار في الطريق الذي اجتذبها، فاختارت لنفسها السير فيه، فظلت متشبثة بشخصيتها التي لا هدف لها في الحياة غير الطعام والكساء وملء الفراغ بالأغاني، ومطالعة أخبار المجان فيما يسمونه صحف الفن.

ولكن سرعان ما تنتقل تصوراتها إلى نقطة التحول في حياتها..... موقف يغشاه الجلال، وتحفه الرحمة، وتتنازعه عاطفتي الخوف والرجاء، حيث قدر لها الله في أحد الأيام أن تجلس إلى ابنها لتقرئه القسم المكلف بحفظه من كتاب الله، فقرأت قوله تعالى :﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ (١)، فتطفو على بصيرتها أسئلة متعددة تكشف عن حيرة وتردد وكأن الآية موجهة إليها دون غيرها، فتتجسد حيرتها عبر منولوج داخلي، حيث تتحدث إلى نفسها فتقول : « أيتها المرأة الغافلة هل أنت مخلوقة عبثاً ؟...هل أنت واحدة من هذا الهباء المترائى في معبر الشعاع لا مشيئة له ولا مسئولية عليه ؟.... من أنت، وما أنت

(١) سورة المؤمنون آية:١١٥.

أيتها الغافلة ؟ "[1]فكانت هذه الصدمة نقطة تحول إيجابي في حياتها لتبدأ حياة جديدة، حياة فاضلة مليئة بالمشاعر المتوهجة.

وتنطلق فاضلة لمواجهة المجتمع بصورتها الجديدة.... صورة المرأة الملتزمة في زيها الإسلامي الغريب عن مألوفهم، فواجهت الموقف بإصرار تنحت أمامه كل صور الاعتراض، وها هي تواصل المسيرة، فتنقل إلى قسم خاص بالنساء لتبعد عن الاختلاط بالرجال، فيتحقق لها ما أملت في مجال العمل، ولكن هذا المجال لم يكن العقبة الوحيدة التي واجهت « فاضلة » بل كانت هناك عقبة أخري تمثلت في الزوج الذي رفض في البداية الرضوخ والتوبة، ولكنها استخدمت وسائل متعددة امتزجت فيها المشاهد الواقعية بالمشاعر الإنسانية الفياضة التي باركت توبة زوجها.

فشخصية فاضلة في هذه القصة تمثل « نموذجاً من المآسي تتكرر كل يوم عند آلاف من الفتيات المسلمات اللواتي ينزلقن بصورة تدريجية إلى الحياة العصرية المزيفة المنحرفة التي تطحنهن برحاها الثقيلة المبهرجة، فلا تصحو إحداهن إلى نفسها إلا وقد نأت بها الحياة عن دينها، ورمتها في لجة بعيدة عن شاطئ الأمان الذي وضعها الإسلام عليه وصانها فيه، وهيهات الوصول إلى ذلك الشاطئ الجديد.

وتتمة لهذا المشهد اليومي المتكرر تصور لنا القصة من خلال هذه الشخصية الفرق الخطير بين العبادة بالتقليد والعبادة بالتفكير، وهو ما يعاني منه الإنسان المسلم اليوم حين يلقنه أبواه العبادات على أنها مجرد « عادات » دينية لابد منها، من غير أدني تفكير في حقيقة هذه العبادات التطهيرية، وارتباطها ارتباطاً

(١) مجموعة « اللقاء السعيد » محمد المجذوب – ص٤٧ – ط٢ – ١٤٠٢هـ– ١٩٨٢م.

عضوياً لا يجوز أن ينفصم بالسلوك الإنساني لصاحبها »[١]،" ففاضلة" المسلمة « ظلت شبه مواظبة على أداء الصلاة، فما كانت لتفوتها إلا قليلاً، غير أنها لم تكن تري بأساً في تأخيرها إلى نهاية الوقت حتى تقترب من موعد الصلاة التالية، إذ لم يخطر في بالها أن تتساءل قط عن أسرار هذه العملية المتكررة، ولم تكن تعلم عنها سوي أنها واحدة من خصائص البيت الذي شبت على تقاليده، فلا تجد ضرورة لمفارقتها ». [٢]

ومن خلال هذه المشاهد الواقعية التي عرضها المؤلف قدم عن طريق الوصف والتقرير المباشر دوافع تغير السلوك عند العديد من الشخصيات في المجتمعات الإسلامية، ومنها ضعف الثوابت التي يركن إليها المسلم في التعرف على دينه والتي ينشأ من خلالها تكوينه الفكري والنفسي فيندفع بسهولة ويسر تجاه التيارات الجارفة إلى مهاوى الفساد.

كما قدم المؤلف رؤيته الواقعية المنبثقة من تصور إسلامي بما يحمل من مقابلات وتحولات وآمال جسدها تفاعل « الشخصية » مع الظروف الاجتماعية المحيطة فقد تحولت من شخصية سلبية منساقة للأهواء، إلى شخصية إيجابية متفاعلة يدعمها إيمان وإصرار قوي على الانتصار في مواجهة الواقع الذي تأبي أن تستمر فيه على ما هو عليه.

ومما يحمد المؤلف اختياره لنقطة التحول والتي تمثلت في استشعاره لتأثير القرآن الكريم عندما يقرأه الإنسان بتدبر وإمعان، وما يحدثه من تحول ذي تأثير نفسي ينعكس بطبيعة الحال على الشخصية وبالتالي على الواقع التي هي جزء منه، فقد قرأت « فاضلة » آيات القرآن الكريمة، فحاولت التماسك، ولكنها لم

(١) الواقعية الإسلامية – بسام ساعي – ص١٥٨.
(٢) مجموعة اللقاء السعيد ص ٤٥.

تستطع أمام تحديات التساؤلات الكثيرة التي طرأت على ذهنها، فثابت إلى رشدها، وتطلعت إلى دخائلها، ونظرت إلى نفسها التي طالما ضلت الطريق إليها في غمرة الضياع، وأمسي القرآن جليسها المفضل، فهي تقرؤه صباح كل يوم في أعقاب صلاة الفجر وبعد صلاة التهجد، وهكذا كان للقرآن دور فعال في توجه الشخصية وتغيرها .

فكان عرض المؤلف لهذه الشخصية بصورها المتقابلة تجسيداً لمحنة الفتاة المعاصرة، وتصويراً للصراع النفسي الذي يدور بخلدها بين الظواهر المادية والجوانب الروحية، كما أشار من جانب خفي إلى أن النشأة الدينية وحدها دون وعي وإدراك حقيقي لما وراء العبادة من قيم روحية وأهداف سامية.... لا تكفي لاستقرار شخصية المرأة المسلمة على طريق السوي، ومن هنا تبدو المفارقة المصورة في إطار واقعي متمثل في نشأة « فاضلة » في أسرة متدينة حفزتها على الصلاة والصوم وارتداء الحجاب دون وعي وإدراك لمراميها، فإذا هي تتبذل بعد ذلك وتسقط، وكان السبيل لإنقاذها هو محاولة التفكير والإمعان في كتاب الله، واستظهار معانيه وأبعادها.

ونلتقي مع الكاتب في قصة أخري هي قصة « بين مشهدين » التي تصور انزلاق المرأة المسلمة وراء التبرج والمظاهر المادية، وتخليها عن مبادئ الإسلام، مع عرض لبعض الدوافع والسلبيات التي تؤدي إلى نتائج تنعكس آثارها على تعامل المرأة مع المجتمع وانسياقها لرغباتها دون تقدير للعواقب.

« فمحمود » شاب نشأ مع أخواته في أسرة متدينة، حيث كان الأب متفقهاً في الدين، فنشأ أفراد الأسرة على سلوك ديني، ولكن هل استمر أفراده ينحون مثل ذلك الطريق القويم، تكشف الأحداث عن تغير كبير في سلوك أخواته، حيث اتجهت كل منهن إلى السعي وراء المظاهر المادية من سفور وتبرج، مدعية أن هذا

السلوك مواكبة للتطور، وقد حاول « محمود » أن يثنيهن عن هذا الطريق بتوجيه النصح والإرشاد، ولكن أصابه اليأس والقنوط، فامتنع عن زيارتهن، وقطع صلة الرحم، ولكن قادته الظروف إلى زيارة إحداهن بعد فترة تزيد عن عامين، وهنا تحدث مفاجأة عجيبة دهش لها، فقد اعتاد على رؤية سيدات متبرجات من صديقات أخته في هذا المنزل، ولكن الآن ما حدث خلاف ذلك، فلأول مرة يقع بصره على ما لم يتوقع، فإذا هو بوجه طبيعي يحيط به خمار سابغ يمس ظاهر القدمين، وإلى جانب هذه الفتاة امرأة أخري عرف فيما بعد أنها الأم، فسأل أخته عنهن، فإذا هن صديقاتها القدامى المستهترات المتبذلات، وقد تغير حالهن إلى ما رأي، فدهش « محمود » وتساءل عن سبب هذا التغيير فأخبرته شقيقته هو أن السبب هو معلمة الفتاة الصغيرة، فقد استطاعت بصبرها وحسن تأتيها أن تطرق قلوب الكثير من الطالبات المسلمات، فإذا هن يتحولن من اتجاه إلى آخر، فيلتزمن كل ما علمن أنه من حقائق الإسلام.

وتأتي الخطوة التالية، حيث تحاول الفتاة نصح الأم فتستجيب بعد محاولات عديدة، ثم تبعها الأب، فأديا فريضة الحج وهجرا كل ما ينافي الدين الإسلامي، فما كان من « محمود » إلا أن اتخذ من هذا الموقف فرصة يوجه فيها أخته إلى إتباع طريق صديقاتها.

نلاحظ من خلال الأحداث والمتغيرات التي طرأت على شخصيات القصة إحساس الكاتب بالأزمة الاجتماعية التي تعانيها المرأة المسلمة، وتعبيره عنها بطريقة مباشرة من خلال صور واقعية متتابعة، تكشف عن دوافع التغيير الذي يعتري الفتاة المسلمة عند تحولها من التحرر إلى الالتزام، وكذلك من الالتزام إلى التحرر.

وهكذا ومن خلال الوصف الواقعي يلقي المؤلف الضوء على نقاط حيوية تمثل نقداً وتوجيهاً يتمثل في شخصية « محمود » الذي يجسد السلبية الناتجة عن

يأس وقنوط سريع، أدي إلى قطع الرحم لعدم استجابة أخواته إلى نصحه وإرشاده، وانسياقهن خلف ما يدعي بالتطور في نظرهن، ومثل هذه السلبية تدفع بالمجتمع إلى كارثة مفادها التمزق الذي يصيب المجتمع الذي يمثل الأسرة الكبيرة.

ولم يكتف المؤلف بذلك، بل حاول رصد ظواهر أخري لها آثار إيجابية على المجتمع، من خلال المفارقة التي جسدتها شخصية الفتاة الصغيرة الملتزمة وأسرتها، وما طرأ عليها من تغيير في السلوك وأداء الفرائض وغيرها من تعاليم الدين الحنيف، فكان التركيز على نقاط التحول في هذه الشخصية ودورها في تغيير أسرتها فقد تغيرت الفتاة بتأثير المعلمة المثابرة، ثم غيرت أسرتها بإصرارها وقدرتها على الإقناع المستمد من قوة إيمانها وصدق توبتها.

ومن خلال رؤية الكاتب الإبداعية يستشف القارئ مقابلة بين شخصية محمود من جانب وشخصية الفتاة ومعلمتها من جانب آخر، فهي مقابلة بين السلبية والإيجابية والنتائج المترتبة على كل منهما، فقد نتج عن سلبية « محمود » إصرار شقيقاته على الابتعاد عن الطريق القويم، بينما كانت إيجابية الفتاة و تفاعلها مع متغيرات المجتمع وإصرارها وثباتها دافعاً لتغيير من حولها.

وهنا يلقي المؤلف الضوء على دور هام في حياة المرأة،وهو دور الصديق والمعلم في التوجيه، وما له من آثار فعالة أشار إليها الدين الحنيف في مواضع متعددة.

ورغم أن هذه التحولات والمقابلات قد خصت شخصيات بعينها، إلا أنها تنسحب من الخصوص إلى العموم، حيث تعبر عن شخصيات كثير من الفتيات في مجتمعاتنا جذبهن تيار التغريب الذي امتدت أصابعه إلى داخل الكيان الإسلامي يهزه بعنف، ويفرض سيطرته على المرأة فتاة وزوجة وأماً، فتغير السلوك، وانساقت النساء خلف المظاهر الجوفاء التي زينتها لها الحياة الغربية

مدعية أن هذا هو التطور، وأن تعاليم الإسلام أضحت تعاليماً بالية لا طائل من ورائها، ولذلك نري شقيقة « محمود » تعبر عن رؤيتها من خلال حوار دار بينها وبين أخيها :

ـ « كم مرة ذكرتك بحقوق دينك وتوجيهات أبويك ؟ كم مرة حذرتك صداقة هؤلاء المستهترات وتبادل الزيارات معهن ؟

وتهدئ الشقيقة من ثورته، ثم تقول له : يا أخي.... كل ما تقوله حق.... ولكن....

ـ ماذا ؟

ـ لكننا في دمشق، ولدمشق أوضاعها التي تختلف كثيراً عما في بلدنا الصغير الساذج. لو نقلت مسكنك إلى هنا لرأيت أنك مضطر لمثل هذا التطور الذي صرنا إليه.... »[1]

فهذا الحوار يكشف عن واقع مزيف اختلقه التيار التغريبي، وصدقه المسلمون في محاولة لفرض عمومية الفساد والانحراف في المجتمع الإسلامي، فألقي بشباكه على شبابها وخاصة المرأة لما لها من دور حيوي وفعال في توجيه المجتمع فهي مرآة الأسرة، منها تبدأ وإليها تنتهي.

ومن خلال النماذج السابقة للمرأة المسلمة، والتي عرضها« محمد المجذوب» في قصصه، والتي تعتمد على المقابلة بين المرأة المتوازنة والمرأة التي دفعتها مظاهر المدنية الجوفاء إلى صور زائفة تجسد الانحلال....صَوَّر أبعاد هذه المرحلة التي تمر بها الأمة الإسلامية، مستمداً صوره من الواقع الإسلامي.

(١) مجموعة اللقاء السعيد– ص ٧١، ٧٢.

فقد تصدت بعض الشخصيات لأسباب الانحراف، بينما استجابت شخصيات أخري، ولكن كان تركيز الكاتب على الشخصيات الملتزمة، وتجسيد رؤاها الذاتية، والدوافع الإيجابية التي سارت بها إلى طريق الهداية، فهي استجابة للتوجيه الإسلامي في تصوير الواقع في إطار مثالية الإسلام، والأدب الإسلامي في معالجة قضايا المجتمع.

ثانياً : مواجهة الضغوط الاجتماعية :

يتعرض المسلم لكثير من الضغوط الاجتماعية التي تزيد من شعوره بالكراهية للحياة المليئة بصور الشر والفتن.

إن عيش المسلم في مجتمع لا يلتزم بأحكام الإسلام يوقعه في مآزق، ويعرضه لضغوط مختلفة، يجد فيها نفسه موزعاً بين الالتزام بالمثل التي يؤمن بها، أو الاستجابة للضرورة التي يفرضها الواقع ». (١)

وقد صور الكاتب في بعض قصص مجموعته نماذج لسلبيات المجتمع، والتي يواجهها الإنسان المسلم في إطار حياته الواقعية....مجسداً المعاناة التي يتعرض لها ووسائل الضغوط المختلفة والتصدي لها.

فتتراءى لنا في قصته « اللقاء السعيد » موجات متتالية من الضغوط تحف بالبطل، فهي تدفعه إلى الهبوط والانحلال، ولكنه يتمسك بأهداب الفضيلة....فبطل القصة شاب في مقتبل العمر.... تركه والده وهو صغير للعمل في أمريكا بالإضافة إلى القيام بأبحاث علمية، ولكن بعد فترة من الزمن قطع صلته بأسرته دون إبداء أسباب لذلك، فقرر السفر إليه ؛ لعله يعود إليهم مرة أخري، ولكنه لم يستطع بل أصبح الأب معول هدم لابنه، فقد أكرهه على حلاقة لحيته، وقام هو بنفسه بذلك، وقال : « لا سنة ولا فرض بعد اليوم » فكان لهذه العبارة وقعها على بطل القصة الذي أدرك صعوبة التجربة التي يتعرض لها، « ويتذكر تحذيرات والدته وخوفها عليه من مفاسد أميركة..... فيخيل إليه أنها تتزاحم عليه كلها من خلال ذلك الإعلان الرهيب « لا سنة ولا فرض بعد اليوم ». (٢)

(١) خصائص القصة الإسلامية – د/ مأمون فريز جرار – ص ٢١٦.
(٢) مجموعة اللقاء السعيد– ص٢٥.

وقاوم الفتي هذا الضغط الموجه إليه من أقرب الناس إليه، حتى ضاق به الأب، فقرر عودة ابنه إلى الوطن مرة أخري.

إن إحساس المؤلف بهذه الضغوط الاجتماعية وأثرها على شخصية المسلم وكيانه دفعه إلى التعبير عنها بطريقة مباشرة كشف من خلالها عن المضمون الاجتماعي الذي تبلوره أزمة هذه الشخصية عبر المحنة التي مر بها، زاد من قساوتها اتحاد معاول الضغط المتمثلة في شخصية الأب الخاضع لمغريات الحياة المادية الغربية، والمجتمع الغربي الذي لا يلتزم بأحكام الإسلامية، فواجه البطل أزمته منفرداً خشية الوقوع في الهاوية، فقد اضطر إلى التخفي بصلاته، واكتفي من الطعام بما لا يتعرض لشبهة الحرام، فهو مغمور بالحياة المدنية التي خبا فيها الشعور بالروحانية والإيمان، وطغت المادة على جميع مظاهرها، ولكنه مدعم باليقين الثابت الراسخ مما دفعه إلى الاستمرار في المقاومة.

ورغم سطحية العرض إلا أن المؤلف ألقي الضوء على قضية مهمة تعاني منها شخصيات حقيقية في واقعنا المعاصر، وهي مواجهة الضغط التغريبي الذي يواجهه أبناء المسلمين في البلاد الأوربية وغيرها، فصور أبعادها ومراميها من خلال المقابلة التي تكشف عنها الأحداث، فشخصية البطل تقابل شخصية الأب كلاهما واقع تحت غطاء كثيف من المغريات، وقد قاوم الأب لفترة، ولكنه انخدع بالمظاهر الجوفاء، وجذبته المدنية الغربية بإطارها الزائف فتخلي عن دينه وأسرته، ولكن الابن قد طرق درباً آخر أهلَّه للمثابرة في مواجهة الضغوط الاجتماعية التي تعرض لها وخاصة من أبيه.

ومن خلال هذه الرؤية الواقعية للشخصية المسلمة ذات الهمة والعزيمة كشف المؤلف عن أبعاد الأزمة وآثارها التي تنسحب إلى فئة كبيرة من المجتمع المسلم، ولذلك لم يسم شخصية البطل في بداية القصة قصداً إلى اتخاذه رمزاً للشباب

المسلم المحافظ على دينه، ولم يكتف بذلك بل ضم إليه دعماً آخر تمثل في نماذج أخري من الشباب ممن حافظ على دينه وقيمه.

« فلما أبلغه والده قرار الطرد، لم يتأخر إلا ريثما جمع أمتعته القليلة، ومضي بها إلى الغرفة التي دعاه إليها بعض الطلاب المسلمين الذين وفدوا للدراسة، واستطاعوا الحفاظ مع ذلك على دينهم وأخلاقهم.... وبمساعدة هؤلاء وجد العمل الذي يعينه على الحياة، بل يقدر على معونة والدته أيضاً، دون أن يغفل دروسه، أو يعرض نفسه للتخلف فيها.... »(١)

فبث المؤلف روح الجماعة ذات التأثير الإيجابي في مواجهة الضغوط الاجتماعية التي تثقل كاهل الفرد المسلم، وخاصة إذا عاش في المجتمعات الغربية.

ونلاحظ أن المؤلف عمد إلى تكثيف الأحداث والإسراع بها من خلال تيار الوعي ليبرز نقاط الافتراق والتعارض بين شخصيتي البطل ووالده من خلال الصراع الذي دار بينهما، فكلاهما متشبث باختياره، وكل منهما يحاول جاهداً دفع الآخر إلى طريقه الخاص، ومن خلال الوصف الواقعي حاول المؤلف تجسيد الظروف المحيطة بالابن، والتي تمثل عوامل ضغط وتأثير موجهة إليه، ويحمد للمؤلف قدرته على تركيز الضوء على مقاومة البطل في مواجهة الأحداث، رغم صغر سنه، بالإضافة إلى محاولات الأب المستمرة لإثنائه عن طريقه الذي خطه لنفسه، إلا إنه لم يبرز دور الابن في إرشاد الأب رغم أنه الهدف الأساسي من سفره إلى أمريكا، ولعل ذلك مرده إلى انشغال الابن بالمقاومة للحفاظ على مُثلِه وقيمه في مواجهة الأب والظروف المحيطة به.

(١) مجموعة « اللقاء السعيد » ص٢٦.

وتتوالي الضغوط الاجتماعية التي يكشف عنها الكاتب في قصة أخري بعنوان « ثمـــرات الإيمـــان » والتـــي تـــدور حـــول شخصـــية شـــاب يســـمي « عبد الحميد » فاجأه اليتم مبكراً، فتحمل عبء الأسرة، ورغم تجاوز عبدالحميد لمحنة اليتم وما ترتب عليها من ضغوط اجتماعية أثقلت كاهله إلا أنه صمد ولم يضعف، ولكن واجهته عقبات أخري تتمثل في العادات والتقاليد البالية والتمسك بالخرافات التي سادت مجال عمله، فكان عليه التصدي لها بقوة نابعة من إيمانه بوجوب التمسك بالشريعة الإسلامية، ومن هذه العادات البالية تقديم ذبيحة « فدو » عندما يظهر ماء في الآبار التي جفت أو عند حفر بئر جديد، وعند تعرضه لهذا الموقف رفض تقديم « الفدو »، وقد حذره عمال الحفر من التأخر أو التكاسل في تقديمه حيث « قال أحدهم: ألا تعلم أنه لابد من الذبيحة عقيب ظهور الماء ؟..... وقال آخر : مثلك يا عبد الحميد لم يُعرف عليه البخل..... وقال ثالث : ألا تخشي أن يرتد الماء إذا لم تؤد للبئر حقها ! ورد عبد الحميد في ثقة : كنا مخطئين في متابعة هذه العادة، ثم عرفنا أنها محض خرافة، ولذلك لن أعمل بها منذ اليوم ». (١)

وشاء الله أن يأتي بالخير ويزداد الماء، ولكن سرعان ما جاء البلاء حينما نزل وباء مجهول بأنعام المدينة فكاد يأتي عليها جميعاً.... وشاء الله أن يذهب عبد الحميد بالحظ الأوفر من هذا الوباء، فوجه إليه بعضهم تأنيباً، إذ رفض تقديم الذبيحة الواحدة فذهب خطؤه بالنياق العشر، ولكن رده عليهم كان تعبيراً عن قوة إيمانه في مواجهة الضغوط الكثيفة التي أحاطت به حيث قال: ثقوا أنني لم أزدد إلا إيماناً بما كنت عليه، وسأعود إلى الموقف نفسه في كل مرة أفتح بها بئراً أو أعمقها.... لأنه لا شيء إلا بقدر الله، ولن يصيبنا إلا ما كتب الله.... ». (٢)

وإذا ببلاء آخر يصيب المدينة، حيث الجراد الذي يأتي على الزروع فلا يبقي منها شيئاً، فألهم الله عبد الحميد إلى حل يحمي به نخيله وثمره من هذا الوباء،

(١) مجموعة « اللقاء السعيد » ص١٥٥.

(٢) مجموعة « اللقاء السعيد » ص١٥٦.

وأشار به على إخوانه المزارعين فلم يقتنعوا بذلك، ثم ما هو إلا قليل حتى وصل الزحف وأبي أن يغادر المدينة المنورة إلا بعد أن أتي على كل ثمرة إلا نخيل عبد الحميد ويومئذ أيقن العارفون أن الأمر كله لله، وأن العاقبة للمتقين.

قدم لنا الكاتب من خلال هذه القصة تجربة صادقة يحفها الوضوح والشفافية، وآية الإبداع فيها ذلك التناغم بين الشخصية الرئيسية والأحداث التي تنساب برفق يكشف عن تفاعل بين شخصية البطل والضغوط والأزمات التي مر بها من خلال رؤية واقعية لجذور الإيمان في شخصيته، وما بثه فيها من قوة ويقين ثابت بقضاء الله وقدره.

فقد عاني « عبد الحميد » وطأة اليتم في صغره، وما ترتب على ذلك من عقبات واجهته في حياته من تحمل لأعباء الأسرة وتركه لمواصلة الدراسة فترة من الزمن، وتتوالي الضغوط الاجتماعية المتمثلة في العادات والتقاليد البالية والمختلطة بخرافات تنافي الإيمان، فواجهها بيقين ثابت.

ويكثف المؤلف من الأحداث التي توالت على البطل متمثلة في البلاء الذي حل على أنعامه فذهب بها جميعاً، وهنا تتجلي الثوابت التي بنيت عليها الشخصية، حيث قوة الإيمان بقضاء الله وقدره.

فالكاتب يلقي الضوء على منابع الإيمان التي استقاها لشخصياته من الواقع الإسلامي، فالعلم كان المنبع الأول الذي فاض على عقلية الشخصية، وبالتالي توجهها الإيجابي في معالجة ما يواجهها من ضغوط ومشكلات خاصة وعامة تنسحب على المجتمع، فالأزمة التي مر بها « عبد الحميد » كانت كفيلة بزعزعة وهزيمة اليقين في نفسه، ولكن المؤلف حول هذه الأزمة إلى لحظة إشراق إيماني في مواجهة الابتلاء ؛ ليكون النموذج الأمثل في المجتمع.

وتأتي الخاتمة لحظة تنوير أضاءت الأحداث، فانقلبت الهزيمة إلى انتصار أعقبة تفاؤل ناتج عن يقين ثابت، وما كان له من تأثير خلف انطباعاً إيجابياً في نفس المتلقي الذي كان ينتظر هذه اللحظة باشتياق ولهفة ، من خلال التعاطف الذي بثه المؤلف بين البطل وقارئ القصة.

ويكشف المؤلف عن مواجهات أخري للضغوط الاجتماعية في قصته « من دمشق إلى الفلبين »، فهذه القصة ترصد حياة فرد من أفراد الشعب السوري، دفعت به الأقدار إلى الإقامة والاستقرار في الفلبين، وبالتحديد في إحدى مدنه التي تقطنها أكثرية مسلمة.... وتبدأ القصة من نهايتها حيث يخلو الشيخ « منيب » - الذي ناهز السبعين . إلى نفسه ليعود بالذاكرة إلى الوراء حيث كان عمره خمسة عشر عاماً في دمشق، وقد هجر المدرسة وانطلق إلى مجال العمل، ولكن هذا الاتجاه لم يصرفه عن متابعة حلقات شيوخه في المسجد الأموي حيث درس القرآن الكريم والحديث الشريف والسيرة النبوية، وما زال ينتقل من عمل إلى آخر إلى أن استقر في حانوت بالقرب من منزله الذي تقطنه والدته، وكان كل يوم يزداد اطمئناناً إلى أن طاعته لربه وبره بوالدته لا يزالان يفيئان عليه بألوان الخير، وبلغ من حبه لوالدته أن حرم نفسه من الزواج خوفاً من التقصير في جانبها، فكانت حياته مكللة بالارتياح والهدوء إلى أن زحف إلى بلده الاحتلال الفرنسي بجيوشه فتفجرت الثورات واندفع المجاهدون من كل مكان، وأشعل الفرنسيون النار في الحي الذي يقطنه « منيب »، فالتهمت النيران كل شيء، وكان من ضمن الحي المتهالك بيته وحانوته، واستشهدت أمه في هذا الحريق، وفي لحظة واحدة فقد « منيب » الأم والمأوي ومصدر الرزق المتمثل في الحانوت، فكانت نكبة مروعة، تقبلها « منيب » بقلب مؤمن موقن بقضاء الله وقدره، فانتقل من بلد إلى أخرى بحثاً عن عمل، واضطر إلى العمل بأعمال شاقة، فعمل حمالاً في محطات المسافرين، وخادماً يقوم بحاجاتهم في البواخر، وحط به الرحال في الفلبين، وعند

نزوله على أحد جزرها رأي مسجداً فانطلق إليه يبغي الصلاة،فالتقي بإمام المسجد الذى رغبه في الإقامة بمدينة "ماراوى" حين تقطن الأكثرية المسلمة، وهي أحوج ما تكون إلى عربي يأخذ بيدها إلى نور الإسلام الذي يكاد ينطفئ تحت أثقال الجهل، فاستقر في الفلبين وتزوج، وظل فيها إلى أن بلغ السبعين من عمره، ويعود البطل إلى لحظة البداية يتأمل هذه الأحداث، وما مر به من ضغوط اجتماعية ونفسية، فقال محادثاً نفسه : "حقا إنه لأمر عجيب أن يحدث كل هذا.....

ـ الحريق الذي ذهب بكل ما جنيته في شبابي.... والوالدة التي لقيت ربها وهي قائمة الشهداء إن شاء الله.

. ثم الضرب في الأرض على غير هدى.... حتى استقرت الأقدام في ماراوى.... وماذا وراء ذلك كله ؟

تعليم كتاب الله وسنة رسوله، ونثر بذور العربية التي لا غني عنها للفهم عنهما..... ثم المرأة الصالحة التي ملأت فراغ حياتي..... وذرية طيبة تقبل طائعة على عبادة الله. (١)

فنلاحظ في هذه القصة أن الواقعية الإسلامية تلقي بظلالها على الأحداث، فهي الإطار المرجعي الذي عول عليه المؤلف في إدارة الأحداث وتحريك الشخصيات، وخاصة ما واجهه البطل من أزمات وضغوط اجتماعية وتقلبات اقتصادية، ومواجهات لكثير من الصدمات، رسمت بدقة أبعاد شخصية البطل وقدرته على مواجهة الضغوط والابتلاء بإيمان صادق مدعم بتوجيه نبوي شريف في معالجة الأزمات.

(١) مجموعة اللقاء السعيد ص ١٧١.

فقد اضطر البطل لترك التعليم في صغره، وإن لم يكشف المؤلف عن سبب ذلك، ولكنه استعاض عنه بحلقات المساجد التي كانت لها دور في تشكيل منهجه في الحياة، وهكذا تبدو بداية القصة هادئة حيث تمكن « منيب» من متابعة حياته دون كثير من المعوقات والهموم، ثم يتخلل القصة توتر متمثل في دخول الاحتلال الفرنسي إلى البلاد، ثم تأتي الفاجعة التي حولت الواقع من سهولته وسكونه إلى ابتلاء مكلل بضغوط اجتماعية ونفسية أثقلت كاهله، حيث افتقد الأم نبع الحب والحنان، وافتقد المأوي ومصدر رزقه في آن واحد.

وهنا يكشف المؤلف عن الأزمة الاجتماعية التي مر بها البطل بطريقة مباشرة من خلال وصفه للظروف التي مر بها، وصبره وثباته في مواجهتها، وتتحرك به الأقدار لمواجهة أزمة أخري، ولكن شعباً آخر يقع تحت طائلتها.... ألا وهو الشعب الفلبيني، فقد قدر « لمنيب » انفراج أزمته من خلال مساندته الفعالة في دعم مسلمي الفلبين،وهكذا تحولت الأزمة والابتلاء إلى انفراج مهد له الكاتب من خلال سعي البطل الدؤب وعلاقته الوثيقة بمنابع الإسلام وثوابته الراسخة في نفس الشخصية المسلمة التي لا تهوي إلى حضيض الواقع، وإنما ترتفع وتسمو إلى ما يجب أن تكون عليه، فالمسلم لا يستسلم ولا يندفع وراء المغريات، وإنما يستجيب إلى نداء الحق، مما يهيئه لمواجهة الضغوط حيثما كانت، وبوسائل كشف عنها الكاتب من خلال أحداث قصصه المتعددة.

وينتقل بنا الكاتب إلى منحي آخر من الضغوط الاجتماعية التي تواجهها شعوب يقل بها عدد المسلمين، ألا وهي الهند، ومن خلال شخصية هندية بوذية تتجلي رؤية الكاتب للتوابع الاجتماعية النابعة من تقاليد وأعراف بالية يتمسك بها الشعب الهندي من خلال قصته « مأساة من الهند ».

وتدور أحداث القصة حول شخصية « سيانج » الذي يعمل مديراً لإحدى الإدارات التعليمية، وله زوجة وثلاثة أبناء ويعيش حياة سعيدة مع أسرته، ولكن هذا لم يمنعه من التفكير في المشكلات التي يمر بها المجتمع الهندي، ومنها العادات الوثنية التي تفضل البقرة على الإنسان، حتى لتسمح لها بأن تعيث خراباً في الزروع دون رادع ولا زاجر، بل ويشمل التقديس سائر أصناف الحيوان، فيترك الحيوان ليعبث بالطعام والمدخرات دون تحرك أو زجر، وكان الأستاذ « سيانج » غير مطمئن العقل والقلب إلى ذلك الوضع المرهق رضوخاً للعادات والتقاليد، ولكنه رأي أن علاج هذه المشكلة عن طريق ما فعله المسلمون بمجرد انفصالهم عن الديانة الهندوكية، فقد وجدوا الانفراج المنشود رغم تعرضهم لحروب عنيفه دون توقف.

ولذلك فكر « سيانج »في حل آخر وهو « تحديد المواليد » فهو في نظره حل لما تمر به البلاد من أزمات اقتصادية، ويقدم هو نفسه على هذا الحل، فيجري جراحة من شأنها أن تصيبه بالعقم، ولكن تحدث كارثة لم يكن ليتوقعها، حيث يحل بالبلاد وباء الكوليرا، ويذهب الوباء بأولاد « سيانج » الثلاثة.

وتمر الأحداث عنيفة مكثفة، فقد بدأت بالجراحة ثم وفاة الأولاد، ويصاب الزوجان بصدمة قوية حين أدركا أنه لا وسيلة للإنجاب أمامهما، وإذا بالدولة ترسل خطابات إلى مديري الإدارات تحثهم على ضرورة إجراء هذه العملية لكل رب أسرة بلغ أبناؤه ثلاثة لمنع زيادة الذرية التي تفوق الموارد الوطنية، وتتجدد المأساة في نفسه مرة أخرى وهو يقرأ هذا الخطاب لموظفيه، فقد غلبه البكاء، ولم يكن الحضور في حاجة للمزيد من الإيضاح، فقد قرأ كل منهم في كلمات المدير مأساته الفاجعة وكأنها إنذار لهم بأنهم معرضون للمصير الذي سبق أن فرضه على نفسه.

يتراءى لنا من الأحداث الضغوط التي تواجه المجتمعات غير الإسلامية، بالإضافة إلى السلبية التي تواجه بها هذه الضغوط والأزمات، خاصة الأزمات الاقتصادية والمرتبطة أحياناً بالعادات والتقاليد الوثنية، كما يحدث في الهند، فتقديس الحيوانات يمنعهم من زجرها ومنعها من العبث بأقواتهم، بينما أباحوا لأنفسهم ارتكاب جريمة تتمثل فى التعقيم ، وما هو إلا سلوك ضد الفطرة التي فطر الخالق الناس عليها.

وهنا تتجلي واقعية التجربة التي تشير إلى إيجابية الإسلام في مواجهة الأزمات وسلبية العقائد الوثنية التي تدفع بالبشر إلى مهاوى الهلاك والفساد، وجند المؤلف شخصية « سيانج » ليكشف من خلاله عن انسياق الشخصية غير المسلمة خلف العادات والتقاليد والدعوات التي تخالف الفطرة والنتائج المترتبة عليها، وكأنه يوازن بين المجتمع المسلم والمجتمعات الأخرى ؛ لتتجلى بوضوح إيجابية الإسلام وموافقته الرؤية الصحيحة للكون والحياة، « فسيانج » كان يدرك تماماً أن الانسياق خلف العادات والتقاليد خطأ يجب تصحيحه، وأن ما يفعله المسلمون هو الصواب، ولكنه استسلم ولم يستطع المواجهة، وعبثاً حاول البحث عن حلول أخرى، ولكنها باءت بالفشل، وظل يعاني المأساة طيلة حياته، هذه المعاناة التي تنسحب إلى جميع أفراد شعبه، فالبطل هنا يجسد مأساة شعب بأكمله، وما يمر به من أزمات اجتماعية لا حل لها إلا بإتباع الرؤى والحلول الإسلامية المتوازنة.

ثالثاً: التكافل الاجتماعي :

للمجتمع الإسلامي نظم وقواعد بني عليها، ومن خلالها يستمد المسلم رؤيته المتوازنة لأبعاد سلوكه وتعاملاته مع المجتمع المحيط به، ومن هذه النظم والقواعد نظام التكافل الاجتماعي المتمثل في الزكاة والصدقات وغيرهما من سبل التعاون، ولكن التخلي عن هذه النظم خلف بؤرة في ثنايا المجتمع، وشكل قضية ليست بالطارئة على المجتمع أو الغريبة عنه، ولكن اتسعت دائرتها إلى أن أصبحت ملمحاً ظاهراً دفع بكاتبنا « محمد المجذوب » إلى معالجته من خلال مجموعته القصصية في محاولة لتلافي آثارها على المجتمع.

يتراءى لنا أن قصصه « الحل الأفضل » و « مع الجماعة » و « المحسن الأول » تشد القارئ في مستوياتها المختلفة إلى هذه القضية، وتبرز ملامحها من عدة زوايا، وتستمد من الواقع الاجتماعي ما يضفي على هذه المجموعة مصداقية في المضمون والأداء والتعبير.

ونلتفت إلى قصته الأولي « الحل الأفضل »، والتي توحي بالصراع الذي يعتري الإنسان عند مجابهته للغريزة المتمثلة في حب المال والحرص عليه، فهو صراع بين الماديات والروحانيات تجسده شخصية « أبي مرشد » هذا الرجل الذي ناهز السبعين من عمره، ويمتلك تجارة ضخمة، وآلافا من الدنانير الذهبية والعملات المختلفة والأراضي الزراعية الشاسعة التي ورثها عن أبيه، ولكنه يربط بين هذا النعيم وبين الممانعة في أداء حق الفقراء في ماله، إذ يعده عبئاً ثقيلاً يلقيه هذا التوفيق الكبير على عاتقه.

وتعود به الذكريات، فإذا بأبيه يحرص على أداء حق الفقراء في ماله، ولكنه يعلل ذلك بأنه كان لا يتجاوز الألف ريال، أما الآن فهو رقم كبير، ويتساءل.... «

أليس ثمة من سبيل إلى التخفيف من هذا العبء».[1]، ولم يكن عنده من العلم ما يفي بالإجابة على هذا السؤال، فيفكر في سؤال بعض العلماء، ولكن تشاء قدرة الله أن يبدأ في قراءة القرآن، فيكون أول ما يطالعه قوله تعالى ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾[2]، ويستمع لخطبة الجمعة، فإذا بالإمام يتحدث عن زكاة رمضان والزكاة المفروضة، ويتحدث عن وعيد الله ورسوله لأصحاب المال الذين غلب عليهم الشح والجشع، فأمسكوا عن أداء حقه، وتتوالي الآيات القرآنية المحذرة والمشددة على أداء الزكاة.

وهنا يحاول « أبو مرشد » البحث عن حل للتوفيق بين رغبته في الحرص على ماله وبين ما هو مفروض عليه من زكاة، فأمر أولاده بتقييده بالحبال ثم إنفاذ حق الله، فليس أمامه خيار آخر، وتحريك الفتيان لتنفيذ الأمر وهم يقولون : « عجب ربنا تعالى من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل....».

قدم الكاتب من خلال هذه القصة صياغة جميلة للصراع النفسي الذي يعتري الإنسان فيصيبه بالبلبلة ويجللها أحياناً الشرود، فيعيش في واقعه الخاص، وتغرقه الماديات، فينفصل عن روح الجماعة، وينازعه إيمانه فيبحث عن حل للتوفيق بين غريزته المشبعة بالحرص والإقبال على الدنيا وبين أوامر الإسلام ونواهيه، ويقف بنا الكاتب على أعتاب مفارقات عجيبة.... فهو يحاول البحث عن حل للتخلص من النصاب المقرر للزكاة، فيجيبه القرآن بوضوح حيث تكون الآية الأولي التي يقرأها في المصحف مشيرة وموجهة إلى ذلك، فيتعلل بأن الآية تتحدث عن الذهب

(١) مجموعة « اللقاء السعيد » ص١٤٠.
(٢) سورة التوبة – آية ٣٤.

والفضة وليس كل أمواله كذلك، فإذا بخطيب المسجد يتحدث عن الزكاة ووجوبها وعقوبة تركها، فيا لها من مفارقات عجيبة توالت على البطل، وكانت كفيلة بوضع حد لصراعه النفسي، بل ويقف الكاتب عندها معلقاً بقوله : « إنها لظواهر غريبة أشبه بالمطارق تقرع رأسه على غير توقع». (١)

ويعجز البطل عن المقاومة فيتهاوى، فهو ما زال حريصاً على ماله من الانفلات من يده، وهو في نفس الوقت يري نفسه في عداد من غضب الله عليهم لبخلهم، وهنا تتجلي واقعية الفعل والرؤية، حيث يسلم البطل نفسه إلى بنيه ليقيدوه ثم يخرجون الزكاة.

وقد يري البعض غرابة في هذه الخاتمة، ولكنها الخاتمة الواقعية التي رأي الكاتب أنها الحل الأمثل لمواجهة الصراع الذي سيطر على البطل، وكاد يهوي به لولا أن تداركه رحمة من الله، والمؤلف يشير بذلك إلى أن الرؤية الإسلامية لا تناقض الواقع، ولكنه ليس الواقع الذي يندفع فيه المرء لاهثاً خلف رغباته وشهواته وغرائزه، وإنما الواقع كما يجب أن يكون، وفي هذه القصة تتجلي مصداقية الواقعية الإسلامية وثوابتها الراسخة على مر العصور، فالقيود التي قُيِّد بها البطل ليست فقط قيوداً لجسده، وإنما هي قيود لنفسه التي تمنعه من أداء الفرض الذي يكفل التكافل الاجتماعي بين المسلمين.

وتتجلي رؤية الكاتب للتكافل الاجتماعي من زاوية أخري، حيث قصته « مع الجماعة » وما يوحي به عنوانها من دلالة تشير إلى" التكافل الاجتماعى" من زاوية التعاون والتضامن، والقصة تدور حول شاب تركي نشأ نشأة إسلامية في زمن كمال أتاتورك، حيث كان والده وجده من المناهضين للعلمانية التركية، ومن هنا حرص والده على تعليم أولاده أمور دينهم وتحفيظ القرآن الكريم ليكونوا في

(١) مجموعة « اللقاء السعيد » ص ١٤٥.

مأمن من تأثير التفكير الوافد إليهم من الغرب، ولكن أحد أبنائه وهو « أوسمان » يجذبه تيار فكري وافد . أثناء عمله في ألمانيا . سلخه من عقائده الثابتة، وقضي على كل الأنظمة المتوارثة، ولاسيما القيم الدينية والأخلاقية التي تخلي عنها « أوسمان » وانطلق يعربد بشرب الخمر ولعب القمار، ويتعرض لحادث سيارة، ويصاب إصابة بالغة ينقل على إثرها إلى المستشفي، وعند استيقاظه يتذكر أبناءه، وكانت أيام العيد، فيشفق عليهم ليس لأن العيد يعنيه في شيء، وإنما هو شعور أبنائه وزوجه الذين ما زالوا متمسكين بقيمهم الإسلامية، ويتخيلهم وقد مر عليهم العيد بملابسهم القديمة ومن دون مال يعينهم، ولكن تحدث مفاجأة لم يكن يتوقعها، حيث يري أولاده في المستشفي وقد لبسوا الجديد، ومعهم الكثير من اللعب الجميلة، فيسأل عن مصدرها، فإذا بهذه الأشياء هي هدية الجمعية الإسلامية التي تتفقد أحوال المسلمين في ألمانيا، ويكون رد الفعل إيجابياً، حيث يتوجه إليهم « أوسمان » للانضمام إليهم، ويؤدي معهم صلاة الظهر التي تركها منذ سنين، ويسجل أولاده في قسم تعليم القرآن.

وهكذا نري الكاتب قدم لنا من خلال الوصف الواقعي توصيفاً للظروف التي مر بها المجتمع التركي في فترة زمنية معينة، كانت لها آثار سلبية على شباب المسلمين في هذه الدولة، فقد أصبحوا بين فكي صراع عنيف بين التمسك بأصولهم الإسلامية، وبين الانسياق خلف التيارات الفكرية الغربية الوافدة عليهم، وكانت شخصية « أوسمان » نموذجاً ينسحب إلى فئة كبيرة من المجتمع التركي الذي استهوته الأفكار الجديدة، فتخلي عن قيمه وأخلاقه الإسلامية، ولكنهم سرعان ما اكتشفوا الفرق بين هذه الأفكار الهدامة وبين روح الإسلام ومثاليته التي تجسدها الأحداث.

ولعل كاتبنا رأي أن لتصوير روح الجماعة في قصصه أثراً لا يخفي، فأبرزه في قصته « المحسن الأول » والتي تصور بوضوح أثر التكافل الاجتماعي في معالجة كثير من الأزمات التي يمر بها المسلمون فرادي وجماعات، ومن هنا نري هذا القانون الإلهي يتجلي في إنقاذ بطل قصة « المحسن الأول » حيث كان يعمل سائقاً ويتعرض لحادث عنيف، قتل فيه خمسة أشخاص، ويصبح عاجزاً عن الوفاء بدياتهم، وفي السجن يداهمه حزن عميق على أسرته والضحايا الخمسة الذين ساقهم الأجل إلى سيارته، ويعلم بقصته شيخ كبير، فيطلب منه الصبر والدعاء، ويدفع في نفسه أملاً في ذهاب هذه الغمة بإذن الله، ويقوم بمساعٍ كثيرة منها الذهاب إلى سفير دولتهم الذي يجتمع ببعض من رجال الأعمال ويحكي لهم قصة الرجل، ويكون الشيخ الكبير هو المتبرع الأول ، فتتوالى الهبات والتبرعات حتى سددت الديات.

فنلاحظ من خلال الأحداث شعور الكاتب بهذه الأزمة الاجتماعية التي يمر بها الإنسان المسلم وأثرها على كيانه فلجأ إلى تصويرها بطريقة مباشرة تكشف عن معاناة البطل والمحنة التي مر بها، ويكثف الكاتب من تصويره للأزمة وآثارها السلبية على الفرد والمجتمع، وما يترتب عليها من معاناة تشمل المحيطين بالبطل، ومن هنا يأتي الحل الذي كفله الإسلام، حيث بث روح التعاون والتكافل بين أفراد المجتمع الإسلامي، ليس فقط بالتعاون المادي، وإنما كذلك بالتواصل الروحي بين أفراده، مما هيأ لتداخل حميم بين المشاهد الواقعية التي بثها المؤلف في قصته وبين المشاعر الفياضة النابعة من شخصياته، وهو يضفي عمومية على هذه المشاعر، فهي ليست خاصة بفرد وإنما تنسحب إلى المجموع، حيث اتسعت دائرة التكافل لتشمل فئات عدة أبدت إيجابية في التفاعل.

المبحث الثالث

توظيف القصة
في خدمة المجتمع والدعوة الإسلامية

توطئة :

"إن أهم سؤال يطرحه القارئ على نفسه بعد قراءة القصة. هو: هل تركت في النفس أثراً لا ينسي ؟ وهل هذا الأثر الذي تركته ناتج عن سلسلة من الحوادث أو عن شخصية من الشخصيات، أو عن فكرة من الفكر.هذا الأثر هو العنصر السائد في القصة، وهو الطاقة المحركة فيها "[1]، ومن شأنه أن يهيئ القارئ للاستفادة المطلقة بأبعاد القصة وأهدافها.

"وتختص القصة بإمكانات فذة، يستطيع الكاتب الإسلامي إذا أحسن استخدامها أن يقول جميع ما يود قوله، دون أن يثقل على القارئ، أو يشعره بالسأم والملل "[2]، سواء من حيث عرضه لأفكاره أو ترتيب الأحداث وتسلسلها أو الغوص في أعماق الشخصيات والتعرف على دخائلها، أو التوظيف الزماني والمكاني وما لهما من أثر على المتلقي.

(١) من بدائع الأدب الإسلامي (دراسة نقدية لنصوص من الخطابة والقصة والشعر) – د/ محمد سعد الدبل – ص٧٦ بتصرف ط دار البلاد – جدة – بدون تاريخ.

(٢) الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية – د/ عبد الله صالح العريني – ص٢٦٧، ٢٦٨ بتصرف – ط الثانية – ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م الرياض – ط دار كنوز إشبيليا.

أ ـ الانطباع[1] والتأثير :

الانطباع هو ذلك الأثر الذي تحدثه القصة في النفس، وهذا الأثر هو أعظم مظهر من مظاهر التوجيه غير المباشر، ومن المألوف في الفن القصصي أن الكاتب لا يقول صراحة إن ذلك خطأ، لكنه يصوغ الحدث على نحو يؤدي بالإنسان إلى النفور منه والإعراض عنه، ويكل إلى عقل القارئ وفطنته الحكم عليه، ووضعه في طائفة الشرور التي يجب الابتعاد عنها »[2]، كما أنه لا يقول هذا صواب، ولكنه يصوغ الأحداث بحيث تؤدي بالإنسان إلى الرضا عنه والإقبال عليه.

وإذا التفتنا إلى أسلوب الكاتب « محمد المجذوب »في عرضه للشخصيات وترتيب الأحداث، نجد أنه يرسم الشخصية في الصورة التي تتوافق مع الرؤية الواقعية لتكوينها وتأثير الأحداث عليها، وما يكون لذلك من تأثير على القارئ، وما يخلفه من انطباع بالرضا أو الكراهية للشخصية، وما تعلق بها من تحولات وأفعال وتوجهات.

فالقارئ يشعر بالتعاطف مع شخصية« محمود » في قصة« اللقاء السعيد » ومع « أبي جاسم » في قصة « المحسن الأول »، إذ يشعر بمعاناة كل منهما، فمحمود فشل في إقناع أبيه بالعودة، بل أصبح أبوه معول هدم لشخصيته

(١) الانطباع بوجه عام ضرب من الشعور يجئ رد فعل لمؤثر خارجي. وفي الأدب: يراد بالانطباع ذلك الشعور الذي يحس به القارئ نتيجة لقراءته الأثر الأدبي. وقد يكون هذا الشعور بالرضا أو بعدم الارتياح نتيجة لما يستنبطه من أفكار أو صور ذهنية. – انظر الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية د/ عبد الله صالح العريني – ص ٣٠٥.

(٢) المرجع السابق – ص ٣٠٥.

الإسلامية، فهو يدافع عن قيمه في مجتمع غربي خلا من الأخلاق الإسلامية، « وأبو جاسم » واقع بين فكي الرحى، فهو يتعذب من أجل ضحاياه من جانب ويأسي لمصيره ومصير أسرته من جانب آخر.

ولا يخفي شعور القارئ بالإعجاب بشخصية « فاضلة » في قصة « حياة جديدة »، وما طرأ عليها من تحول غير مسار حياتها، وانعكس على أسرتها فتحولت من لامبالاة بشرائع الدين وقيوده إلى التمسك به، فها هو الزوج يترك شرب الخمر ولعب القمار، ويلتزم بالصلاة أمام إصرارها على ذلك، فينبهر القارئ بصبرها وإرادتها من خلال مسيرة وجهتها إليها الأحداث ودعمتها إرادة قوية وإيمان ومثابرة.

ويزداد تفاعل القارئ مع الأحداث من خلال إعجابه بشخصية الفتاة الصغيرة ومعلمتها في قصة « بين المشهدين » وما طرأ على الفتاة من تحول بتأثير المعلمة، وكيف انعكس هذا التحول الإيجابي على أفراد الأسرة من أب وأم فسارا على طريق الهداية.

مثل هذه التحولات والمقابلات بين شخصيات القصة يدفع القارئ إلى مزيد من الإثارة والإعجاب، فترسخ في نفسه أبعاد الشخصيات وسلوكها، ويتشكل انطباعه تجاهها.

وقد يتعدي شعور القارئ بالتعاطف والإعجاب إلى الشعور بالرثاء من أجل شخصية « سيانج » في قصة « مأساة من الهند »، وما يرسخ في نفسه عقب متابعته لأحداث القصة من شعوره بالنفور من العقائد الوثنية وما يترتب عليها من شقاء للإنسان وعذاب نفسي لا يجد وسيلة للفرار منه سوي الانسلاخ من هذه العقائد والتقاليد البالية.

ويمتد الشعور بالرثاء من الفرد إلى الجماعة، فالمجتمع الإسلامي تعرض في فترة زمنية لويلات الاحتلال الأجنبي، وما نتج عن ذلك من قتل وحرق وتخريب، فيتولد في نفس القارئ شعور بالكراهية للجيوش المخربة التي تهدم ولا تبني، والتي تقتل وتبيد دون فرق بين رجل وامرأة وطفل وشيخ، ويتجلي ذلك الانطباع بوضوح في قصة « من دمشق إلى الفلبين » وما تعرض له البطل من فقدان لوالدته التي تعرضت للحرق وفقدانه لمنزله ومتجره، فيتعايش القارئ مع الحرب وويلاتها، والاستعمار وشروره.

هكذا يتفاوت شعور القارئ وانطباعه عن الشخصيات والأحداث باختلاف الموقف والقضية وما يترتب على هذا الانطباع من توجيه غير مباشر للفرد والمجتمع.

ب ـ الشخصيات القدوة :

قدم الكاتب « محمد المجذوب » من خلال قصصه العديد من الشخصيات الفاضلة، وعمق من رؤيته الواقعية لها من خلال تفاعلها مع المجتمع وولوجها إلى دروب متعددة من المشكلات وإيجاد حلول لها، وتميزها بالتوازن الديني والخلقي، فمثل هذه الشخصيات يتخذها القارئ قدوة ونموذجاً يحتذي.

ومن الشخصيات الشيخ الذي جسد شخصية « المحسن الأول » فأعان أبا جاسم في دفع الدية، فقد روى مأساته أمام الوكيل « وكان أكثر الحضور تأثراً بهذا المشهد الشيخ الوقور والد الوكيل، الذي لم يستطع حبس بعض الدموع في عينيه انسياقاً مع هذا الحديث المثير.... فلما فرغ الرجل من وصف المأساة تكلم الشيخ فقال: إنه قدر الله يا بني، ولا راد لما يريد..... ولابد أن الله ناظر إلى براءتك، فمهيئ لك المخرج من أزمتك بفضله وكرمه». (١)

فمثل هذه الكلمات تعبر عن شخصية خيرة مؤمنة بقضاء الله وقدره، كما تكشف عن رؤيتها الواقعية وقدرتها على التفسير المتوازن للظروف والأحداث.

ولم يكتف المؤلف بذلك بل دفع بالشيخ إلى أتون المشكلة فكفل السائق وأخرجه من السجن ليتمكن من تأمين الحقوق المترتبة عليه، ثم سعي لجمع التبرعات، بل كان المتبرع الأول الذي شجع الآخرين، وأثار في نفوسهم حب الخير فاندفعوا لقضاء الدية عن الرجل.

ومن الشخصيات التي تتمثل فيها القدوة شخصية « فاضلة » في قصة « حياة جديدة » فقد تجاوزت العقبات التي واجهت تحولها إلى شخصية تقية

(١) مجموعة « اللقاء السعيد » ص ٢١٦.

ملتزمة، وسارت بخطي ثابتة نحو هدف سامٍ تدعمه عقيدة راسخة فجسدت نموذجاً إيجابياً يجب أن يحتذي.

وكان « محمود » في قصة « اللقاء السعيد » نموذجاً للشاب المسلم الذي يتعرض لضغوط وإغراءات متعددة ولكنه لم يستسلم بل تمسك بمقوماته الإسلامية في مجتمع غربي، وكان من المتوقع إلقاء الضوء على صراعاته الداخلية، ولكن المؤلف آثر ظهوره في صورته الثابتة.

وقد تعددت الشخصيات التي جسدت نماذج للشباب المسلم كما ينبغي أن يكون، وقد أثار كل منهم الإعجاب في نفس القارئ، وقد يتمثل القارئ نفسه في هذه الشخصيات، ويجد في توجهاتها حلاً لصراعاته الداخلية والخارجية بتأثير ما تخلفه من انطباع في نفسه.

جـ ـ عرض مظاهر الحياة الإسلامية :

رصد الأديب محمد المجذوب بحسبانه كاتباً قصصياً له توجه إسلامي واضح ظواهر الحياة الإسلامية ؛ لأنها تعبر عن واقع المجتمع الإسلامي، وما لهذه الظواهر من أثر في إضفاء مسحة دينية على أعماله تتعانق مع مضمون القصة ليؤلفا وحدة لا سبيل إلى التقصير في إبراز التوجه الإسلامي في كل منها، فهو لا يني يلتفت إلى الصلاة وقراءة القرآن والأذكار كفروض وسنن إسلامية تمثل نقاطاً حيوية في حياة المسلم اليومية.

فها هو ذا يصور أسرة « محمود » في قصة « اللقاء السعيد » وهي تبدأ يومها بصلاة الفجر، وقراءة الأذكار، فيصوره وهو يستعيد ذكرياته فإذا به يشخص « إلى تلك اللحظات التي قضاها ذات صباح مع والدته، وقد لبثت كعادتها كل يوم في أعقاب صلاة الفجر لتتلو أورادها المأثورة، ولترفع ضراعاتها الحارة إلى الله، وكان عائداً من المسجد المجاور.....». (١)

بل إنه يجعل من قراءة القرآن عنصر تأثير إيجابي في تحول الشخصية وتوجهها، كما في قصة « حياة جديدة » و « الحل الأفضل »، فآية من آيات القرآن غيرت حياة « فاضلة » فحولتها « من فراغ لا معنى له، إلى حياة فياضة بالمشاعر المتوهجة.... لقد أمسي القرآن جليسها المفضل، فهي تقرؤه إذا جن الليل وأخلد الناس إلى أحلامهم، إذ تنهض لأداء بعض الركعات، ثم تكب عليه تالية حافظة باكية ». (٢)

كما كان للقرآن أثر في حياة أبي مرشد، فقد حاول الامتناع عن الزكاة، فتدافعت آيات القرآن تنازع رغبته العارمة في البخل بأمواله، فهو يرهب آيات القرآن التي

(١) مجموعة « اللقاء السعيد » ص ١٩.
(٢) المصدر السابق ص ٤٨.

يحفها وعيد شديد لمانع الزكاة، فرضخ لأمر الله، فكانت آيات القرآن الكريم عامل تحول في توجهه، وضابطاً لصراعاته الداخلية التي تتمثل في حب المادة، والخوف من الله.

ولم يكن القرآن إنذاراً فقط، بل كان أداة توجيه للآخرين، فمحمود في قصة « بين مشهدين » يؤثر آيات القرآن في حديثه لأخته وتوجيهها فنراه « يتمتم وهو يشرق بدمعه : أختاه.... ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله !! ».(١)

كما عمد الكاتب إلى تصوير المسجد كركيزة أساسية في حياة المسلم تعبر عن التزامه، فأبطال قصصه يدلفون إلى المساجد كل وقت لأداء الفريضة والاستماع إلى الدروس الدينية، فنري « منيب » وقد حصر نطاق تحركه بين عمله وبين « المسجد الأموي الكبير القريب يؤدي صلواته الخمس، وإلى حلقات بعض شيوخه يجلس بعد صلاة الفجر والمغرب من كل يوم، يستمع إلى الدروس التي لا يستغني عنها مسلم ». (٢)

وها هو ذا يصف المسجد وقبته بتأنق فيقول : « وبينما هو ينقل خطوه في أناة خلال هذه الأحياء النظيفة البسيطة، وبين الناس القليلين المشغولين بأعمالهم، أخذ بصره منظر منارة أنيقة إلى جانب قبة صغيرة أشبه شيء برأس مستدير فوق عنقه، وقد ارتفع من وسطه شكل هلال نحاسي كأنه فم مؤذن قد شرع في إرسال ندائه..... ». (٣)

(١) مجموعة « اللقاء السعيد » ص ٧٧.
(٢) المصدر السابق ص ١٦١.
(٣) المصدر السابق ص ١٦٧.

ومن مظاهر الحياة الإسلامية التي عمد إلى بثها مظهر الحجيج والتفافهم حول المسجد الحرام، وزيارة المسجد النبوي لأداء الصلاة فحين « يطل الركب على مشارف مكة، سرعان ما تستحيل الأصوات بكاء ونحيباً..... إذ يغرق هؤلاء في غمرات من الذكريات المتوهجة، تفجر في أخيلتهم أطياف إبراهيم وإسماعيل وهما يرفعان القواعد من البيت، وتكاد تريهم إمام المرسلين من بعد وهو يهتف بالوافدين على موسم الحج : « أيها الناس : قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ». [١]

وعرض هذه المظاهر الإسلامية تكشف بوضوح عن الواقعية الإسلامية في العرض والتناول، كما تهدف إلى إبراز توجه الشخصيات والتزامها الذي لا ينفك عن هذه الصور اليومية التي يقضيها المسلم في رحاب العبادة والتفكر مما يدفع بالقارئ إلى التجاوب مع توجهها الإسلامي والانفعال والتأثر بها.

❁❁❁

(١) المصدر السابق ص ٢٨.

د ـ الحلول الإيجابية لكثير من المشكلات :

عرض المؤلف من خلال قصصه حلولاً لكثير من المشكلات والقضايا من خلال تصاعد الأحداث بطريقة طبيعية، وليس على سبيل المفاجأة أو الحلول غير المقنعة، وهو بذلك يهيئ القارئ لقبول الحل والاعتراف بإيجابيته من خلال نماذج نراها في الحياة وموجودة داخل المجتمع تتعرض لهذه القضايا الواقعية القائمة وتتلامس معها، وإن كانت بعض الشخصيات الإنسانية لا تستطيع التعبير عن نفسها وما يواجهها من ظروف، فكانت هذه المجموعات القصصية لسان حالها الناطق بالقضية، وكانت أحداث القصة وما انتهت إليه رؤية إيجابية مشرقة، وحلول قد تكون مثالية أحياناً للقضايا التي يمر بها الفرد والمجتمع.

فقد كان التحول هو الحل الأمثل لما تعانيه فاضلة من تمزق بين حياتها الخالية أو تكاد من مُثُل الإسلام ومبادئه وبين نشأتها الدينية، وكان التفكر والتدبر هو وسيلتها لهذا التحول، فقد استحالت حياتها في البداية إلى خواء من الآمال والتطلعات إلى رؤية أفضل، « حيث تقضي أيامها في خدمة المرضي دونما تفريق بين إناثهم وذكورهم حتى كادت تستحيل واحدة من هذه الأدوات التي يستخدمها الأطباء ». [١]، وانحصر اهتمامها على مظهرها الخارجي دون اهتمام بتجديد وتحسين الباطن، فلا مفر من التحول عن هذه الماديات الزائفة إلى روحانية الدين والأخلاق الفاضلة، لقد توارت شخصيتها الأولي « وحل مكانها هذه المرأة الأخرى التي وقفت نفسها على مسئولياتها الأساسية».[٢]

وإذا كان التحول هو الحل المثالي « لفاضلة » فإن العودة إلى الوطن وإلى أحضان الأسرة هو الحل الأفضل لمحمود من قصة « اللقاء السعيد »، فهو مع

(١) المصدر السابق ص ٤٤.
(٢) المصدر السابق ص ٤٥.

صبره ومثابرته في مواجهة الضغوط الغربية، إلا أن صغر سنه وضغط الأب عليه، وفقدان العائل لا يؤهله لمواصلة الحياة في مجتمع يخلو من مُثُل الإسلام، خاصة وأنه قد فشل في تحقيق ما كان يصبو إليه وهو العودة بالأب إلى الأسرة مرة أخري.

وكان التحرك الإيجابي « لأبي جاسم » من قصة « المحسن الأول » هو الحل لمشكلته، فقد توجه إلى الله يطلب المعونة، فهيأ له الشيخ الفاضل الذي سعي لجمع التبرعات وقضاء الديات، فكان التكافل والتواصل بين أفراد المجتمع هو الحل الأمثل لمشكلته.

وكان التصدي للتقاليد البالية هو الطريق الوحيد للسيطرة على توغلها داخل النفوس، فقد آثر عبد الحميد في قصة «ثمرات الإيمان » أن يبدأ بنفسه ؛ ليكون قدوة لمجتمعه، فتخلي عما تمسك به المجتمع من تقاليد بالية.

وهكذا تنوعت الحلول الإيجابية في معالجة القضايا الاجتماعية من خلال رؤية واقعية إسلامية.

المبحث الرابع

الشكل الفني
لمجموعة « اللقاء السعيد »

تمهيد :

« القصة القصيرة كتجربة فنية، شأنها شأن كافة أشكال التعبير الأدبي والفني تتكون من مضمون وشكل أو معني ومبني..... والمضمون أو الموضوع المعالج ما كان له أن يتشكل بلا صياغة أو إطار خارجي ينبئ عنه، كما أن الشكل أو القالب ما كان له أن يتخلق من العدم بدون المعني أو الفكرة التي يحتويها هذا الشكل ويفرض وجودها،..... ويصبح هذا التداخل والتلاحم بين الشكل والمضمون ضرورياً في القصة القصيرة الجيدة، التي يفترض فيها أن ينمو الشكل مع نمو الحدث وتصبح اللغة تجسيداً حياً لتفاعل الشخصيات بالأحداث، وتصبح القصة كلاً واحداً، ويصبح الحديث عن المضمون المعالج وحدة، أو وسيلة من وسائل الدراسة والبحث ». (١)

ومن العناصر الأساسية المكونة للشكل الفني :

الحبكة « البناء الفني » . الشخصيات . الأسلوب.

أولاً: البناء الفني:

« القصة القصيرة، فن حكائى يقوم على الحكاية أو القصص، وهي تقوم على مجموعة من الأحداث، مرتبة ترتيباً سببياً، تنمو مع تقدم القصة وتؤدي في النهاية إلى نتيجة طبيعية معقولة ». (٢)

ومع تطور فن القصة تطورت طرق بنائها، واستحدثت أساليب متنوعة في تشكيل أطرها وطرق عرضها بما يدفع بالقارئ إلى مزيد من الإثارة والتشويق.

وتكشف الدراسة عن طرق متعددة في بناء المجموعة القصصية « اللقاء السعيد » تلقي بظلالها على رؤية الكاتب وشعوره بواقعية الحدث وحيوية القضية المعالجة.

---

(١) الاتجاهات الواقعية في القصة المصرية القصيرة « دراسة في المضمون والبناء الفني » د/ محمود الحسيني المرسي – دار المعارف – ١٩٨٤م ص ٤٦٩، ٤٧١ بتصرف.

(٢) المرجع السابق – ص ٤٧٤.

فهو لا يلجأ في كثير من قصصه إلى التسلسل الزمني الذي يعتمد على الترتيب المعهود، إنني لا أنكر لجوءه إلى هذه الطريقة في قصتيه « الحل الأفضل » و « ثمرات الإيمان » ولكنه يميل إلى بدء القصة من نهايتها، ثم يلجأ إلى عرض القصة من خلال تيار الوعي واستدعاء الشخصية للذكريات، فتتنامى الأحداث من خلال استبطان الشخصية وعرض رؤاها الخاصة لما مر بها من غطاء كثيف أزيح عنه الستار وكشف عنه الكاتب، كما في قصصه « من دمشق إلى الفلبين » و « بين مشهدين ».

.« والمعروف أن الكاتب يلجأ لكتابة النهاية في أول القصة لأكثر من سبب، منها إثارة عنصر التشويق لدي القارئ الذي يريد أن يعرف كيف انتهت الأحداث تلك النهاية، ومنها بيان أهمية تلك النهاية وخطورتها،فيجعلها الكاتب في الصدارة، وبقية القصة ليست إلا بياناً للأسباب التي أدت إليها، وأحياناً أخري تؤدي هذه الطريقة الفنية وظيفة جمالية حين تبدأ القصة بافتتاحية ما تلبث أن نلتقي بها في نهايتها ». (١)

ومما يزيد من إثارة القارئ وتشويقه وخاصة حين يبدأ القصة من نهايتها عنوان القصة الذي اعتني الكاتب باختياره، فهو يتوافق مع المضمون، ويتجاوب مع أحداث القصة، ومن عناوين قصصه المثيرة" من دمشق إلى الفلبين "، فعنوان القصة يدفع بالقارئ إلى تساؤل مثير وهو ما شأن دمشق بالفلبين، فليست بينهما روابط تاريخية أو سياسية، وإذ بمقدمة القصة تدفع القارئ إلى مزيد من التساؤل والتطلع إلى أحداثها التي تكشف شيئاً فشيئاً عن إجابات واضحة تزيل الحيرة التي اعترت القارئ.

(١) مع القصة القصيرة – يوسف الشاروني – ص ١١١ – الهيئة العامة للكتاب ط ١٩٨٥م.

فالمشهد الأول هو نهاية القصة التي تحمل بين طياتها أحداثاً متنوعة تدور حول شخصية البطل « منيب »، حيث يتجاوز الحاضر إلى أربعين عاماً ماضية من خلال تيار الوعي واستدعاء الشخصية لذكرياتها الماضية، ولعل الكاتب اعتمد على سرد الذكريات "ليتجنب خلال سردها على لسان الشخصية الوقوع في خطأ الامتداد الزمني الكبيرالذي تختص به الرواية دون القصة القصيرة" [١] خاصة وأنه يميل إلى سرد حياة البطل في كثير من قصصه منذ مولده، فكان قالب استدعاء الذكريات مناسباً لتكثيف الأحداث واستبطان الذات.

وقد تبدأ القصة من نهايتها ثم تعود الشخصية إلى الوراء أعواماً تمهيداً لعرض صور اجتماعية متقابلة تمثل الشخصية، وهي تسير في اتجاهين متعاقبين عبر تيار الوعي ويتراءى ذلك في قصة « حياة جديدة » حيث تعود « فاضلة » بذاكرتها إلى حياتها الأولي، « وتتفتق أوراق من حافظتها عن أشتات من الذكريات سرعان ما وجدت نفسها غارقة منها في مزيج من مختلف المشاعر »[٢] التي اختلفت وتقلبت بين الرضا حيناً والندم حيناً آخر ؛ لتكشف عن اتجاهين بارزين متعاقبين في حياتها، الاتجاه الأول حيث الالتفات إلى الدنيا بمظاهرها الخادعة والانغماس منها، والاتجاه الآخر حيث التوازن والإيمان والهداية.

وهكذا نجد الشخصية وقد تخيلت نفسها شخصيتان لا شخصية واحدة لبعد ما بينهما، « لقد توارت الأولي.... وحل مكانها هذه المرأة الأخرى التي وقفت نفسها

(١) موسم البحث عن هوية – د/ حلمي محمد القاعود – ص ٣٠ ط الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٧م.

(٢) مجموعة « اللقاء السعيد » ص ٤٣.

على مسئولياتها الأساسية » [١]، ولا يكتفي الكاتب بذلك بل يكشف عن صراعها الداخلي ثم صراعها مع زوجها لتكوين أسرة قوامها الإيمان والصلاح.

وقد يتراءى للمؤلف أن يبدأ أحداث القصة من نقطة توتر الأحداث، حيث يتأزم الموقف ويبدو التصاعد في الحركة النفسية، ويلح الكاتب على اللحظة بكل ذراها المتصاعدة كاشفاً عن الأزمة باحثاً عن الحل الذي يؤرق الشخصية كما في قصته « المحسن الأول » حيث تبدأ القصة من نقطة حاسمة، حيث البطل في السجن بعد الحادث الأليم الذي مر به « سبعة أشهر متتابعات داخل هذا السجن لم تستطع أن تخفف من هول ذلك الحادث الأليم الرهيب في نفس « أبو جاسم »[٢]، ولم يكتف المؤلف بذلك بل يدفع بالقارئ إلى معايشة التجربة والانفعال بها، فإذا به يستحضر الحادثة عبر تيار الوعي، وما أعقبها من فاجعة مريرة أودت به إلى السجن الذي ما زال به يحاول البحث عن حل لأزمته.

ورغم ميل المؤلف إلى أسلوب تيار الوعي، وعرض الأحداث من خلال قالب الذكريات إلا أنه يجنح أحياناً إلى التقريرية والمباشرة في العرض والتعليق دون أن يترك للشخصية والأحداث التعبير عن الفكرة أو الإيحاء بها، بما يدع مجالاً أقوي للتأثير والإقناع، فنراه يصف التغير الذي طرأ على « فاضلة » في قصة « حياة جديدة » قائلاً : « وكان طبيعياً أن يدفعها ذلك إلى تغيير جوها الثقافي، فاستبعدت عن سمعها أصوات المغنيين والمغنيات، وصرفت بصرها عن لغو الصحف التي تعرض أخبارهم وصورهم، ثم استبدلت بذلك بعض المجلات المعنية بشئون الدعوة ». [٣]

(١) المصدر السابق ص ٤٥ بتصرف.
(٢) المصدر السابق ص ٢١٠.
(٣) مجموعة « اللقاء السعيد » ص ٤٩.

ومن المواقف التي ظهر فيها صوت المؤلف ، قوله معلقاً على موقف فاضلة : « أجل..... كانت تلك هي الصدمة التي حولت مسيرة « فاضلة » من فراغ لا معني له إلى حياة مليئة بالمشاعر المتوهجة ». (١)

ونراه أحياناً يعرض فكرته على لسان شخصياته بصورة مباشرة دون أن يترك لها مجالاً للتأثير من خلال الإيحاء والتصوير، كما في قصة « مع الجماعة » فيتراءى لنا « أوسمان » وهو الشخصية الرئيسية في هذه القصة يعبر عن ضرورة التكافل الاجتماعي فيقول : « ولكن..... ما بال هؤلاء الرفاق الكادحين المسلوبين لا يتعاونون لتخفيف مآسي إخوانهم ؟ ويرتفع همسه بعض الشيء : لماذا لا يتفقدون رفاقهم فى مثل هذه المناسبات ليمسحوا عن وجوه صغارهم بعض خطوط البؤس ؟ ». (٢)

ولا شك أن هذه التقريرية والمباشرة في عرض الفكرة يقلل من حرارة الموقف، ويضعف التأثير، خاصة إذا جلل الموقف النبرة الخطابية النابعة من ميل المؤلف إلى إبراز الجانب الأخلاقي، وإلقاء الضوء على جوانبه، كما يبدو في تعليقه على موقف « محمود » من قصة « بين مشهدين » حين استنكر موقف أخته التي جرفها تيار التقليد حتى كادت تنقطع عن سبيل الإسلام، فنراه يقول : « وهو إنما يحمل هذه النقمة لاعتقاده العميق بأن الإسلام نظام حضاري كامل لا يقبل التجزئة، فكما تعهد روح المسلم بالتنقية والتصعيد عن طريق العبادة والاستحضار الدائب لجلال الله، هكذا تولي بناء سلوكه الفردي والاجتماعي على أساس النظافة الخلقية التي تحفظ طمأنينته فرداً وجماعة..... ولا ريب أن هذا التبذل الذي تنحدر إليه المرأة المسلمة، بالاختلاط والتعري والاستهتار بآداب الدين خطراً يهدد كرامتها، ويجر من ورائها المجتمع كله إلى الكارثة، التي قد بدت طلائعها الكريهة

(١) المصدر السابق ص ٤٩.
(٢) المصدر السابق ص ١٩١، ١٩٢.

بهذا التمزق الذي شرع يزلزل أوضاع الأسرة المسلمة زلزالاً كبيراً ». [١] فهذه النبرة الخطابية، وهذا التعليق الذي مال إلى الطول في سبيل عرض الفكرة وشرحها دون اللجوء إلى تصويرها أثر في بناء القصة وأدي إلى ترهلها، ولهذا لم يعمد المؤلف إلى إيثار هذا الأسلوب إلا في بعض المواقف التي حاول فيها إبراز فكرة بعينها أو التنويه بسلوك أخلاقي.

ومما أثر على تماسك البناء، اعتماد المؤلف على المفهوم « الصدفي » في بناء بعض أحداثه، هذا المفهوم الذي لا يفسره سوى القدر فقط، دون تقديم أحداث أو مبررات مقنعة، كما حدث في لقاء محمود بوالدته في الحرم المكي دون علم مسبق بسفرها إلى السعودية للعمل كمدرسة رغم عدم انقطاع الاتصال بينهما، حيث « توقف محمود قليلاً بمواجهة الركن الأسود ؛ ليختم شوطه الخامس.... وفي كثير من الحذر جعل يتحرك ليبدأ الشوط التالي، خشية أن يمس أحد الطائفين بأي أذي، ولكن الضغط الشديد كان أكبر من طاقته، فإذا هو يطأ قدماً ويسمع صوتاً يردد في خفوت : آه..... سامحك الله.....، ومع شديد أسفه لما حدث لم يستطع أن يمنع عينيه من التحديق في مصدر الصوت..... وأراد أن يعتذر، ولكن الألفاظ تعثرت على لسانه، ودون أن يعي ما يقول وجد نفسه يهتف في دهشة بالغة : أمي !..... أمي !! وكرجع الصدى جاءه صوتان يهتفان : ولدي....، أخي....،، » [٢]، فقد حاول المؤلف إضفاء لون من الروحانية على الموقف بهذه المقابلة العفوية في المسجد الحرام، ولكنه لم يوفق في ترتيب الأحداث والتمهيد لها مما أثر على تماسك البناء، وما أعقبه من ضعف التأثير على القارئ بسبب هذا الموقف العارض.

❁❁

(١) المصدر السابق ص ٦٩.

(٢) المصدر السابق ص ٢٩.

« الشخصيات »

للشخصية القصصية أهميتها في تشكيل البناء الفني وتحريك الأحداث « فالحبكة لا تكفي وحدها لصياغة قصة بل لابد أن تتحرك في سياق الأحداث شخصيات تنبض بالحياة، فعلي قدر ما في شخوص القصة من نبض وحياة تكون قيمة العمل الفني..... والقاص الناجح هو الذي يخلق لنا أناساً خالدين لا ننساهم، بل تظل شخوصهم حية في أذهاننا، ومن مميزات الشخصية القصصية الحية أنها تبقي بينما تندثر شخصيات عظيمة كانت تملأ مسرح الحياة يوماً ».[1]

وإذا أردنا أن نكشف عن شخصيات مجموعة « اللقاء السعيد » نجدها وقد أطلت علينا بوجهها الإنساني بعيداً عن إطار النماذج البشرية (الشخصيات الجاهزة)، فيتراءى لنا الكاتب وقد أضفي عليها حيوية، وحركها في إطار المجتمع الإسلامي، تعبر أفكارها عن أجوائه، وتكشف عن إيجابياته وسلبياته، وتنطلق في كفاحها تستمد قوتها من مبادئ الإسلام، تتنازعها قوي الخير والشر ولكنها تقاوم ، قد تلين حينا للمغريات ولكنها لا تلبث أن تعود إلى الصراط المستقيم الذي رسمه الإسلام.

ويتراءى لنا الكاتب وقد وجه شخصيات قصصه توجيهاً فنياً ينسجم والإطار الذي اكتنفها، سواء كانت شخصية رئيسية أم ثانوية، فلكل منها دور حيوي يمثل لمسة إبداع وبصمة رائعة للكاتب، تدفعنا للكشف عن شخوصه وطريقة رسمه لها.

❁❁❁

(١) القصة من خلال تجاربي الذاتية – عبد الحميد جودة السحار – ص ٨١ – ط دار مصر للطباعة – ١٩٩٠م.

ابتكار الشخصية وطريقة رسمها :

قد يعتقد البعض أن الكاتب ينسخ نماذجه من الحياة، ولكن الحقيقة التي لا مراء فيها « أن الكاتب لا ينسخها من الحياة، ولكنه يقتبس منها ما هو بحاجة إليه، يضع ملامح استرعت انتباهه هنا أو لفتة ذهنية أثارت خياله هناك، ومن ثم يأخذ في تشكيل شخصيته، لا يعنيه أن تكون صورة طبق الأصل بل ما يعنيه حقاً هو أن يخلق وحدة منسجمة محتملة الوجود، تتفق وأغراضه الخاصة، إذ أن الشخصية في القصة تختلف عنها في الحياة، فالفن والحياة شيئان متباينان، والوجود في أحدهما يختلف عن الوجود في الآخر، فالحياة تفرض علينا وجوداً مستمراً، بينما الشخصية في القصة لا تظهر إلا في الأوقات التي ينتظر منها أن تقوم بعمل ما، بينما نحن في حياتنا الواقعية نعيش أياماً بل سنين دون أن نعمل عملاً هاماً يلفت النظر ». (١)

« ولابد للكاتب من أن يلائم بين الشخصية القصصية وما يرتبط بها من أحداث، وما يجريه على لسانها من أقوال، وذلك للحفاظ على روح الواقعية في القصة»(٢)، وباعتبار رؤيتنا لشخصيات مجموعة « اللقاء السعيد » تتراءى لنا شخصيات مقنعة متوافقة لا تناقض بين طبيعة الشخصية وسلوكها والبيئة الاجتماعية التي نشأت فيها، فالكاتب يوفر للشخصية من خلال عرضه لها المؤثرات التي تتوافق وسلوكها، « فقارئ القصة لا يجد متعة في تصرفات

(١) فن القصة – د/ محمد يوسف نجم – ص ٩٣ – ط دار الثقافة بيروت – سلسلة الفنون – بدون تاريخ.

(٢) الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني – د/ عبد الله العريني – ص ٢٠٠ – ط الثانية – ١٤٢٥هـ – – ٢٠٠٥م – الرياض – دار كنوز إشبيليا.

الشخصية بقدر ما يجدها في الأسباب التي دعتها إلى هذه التصرفات »[١] وهكذا نجد شخصية « عبد الحميد » في قصة ثمرات الإيمان شخصية متوافقة، حيث كان عمله وسلوكه ثمرة لإيمانه، فهو يرفض بإصرار الانسياق وراء الخرافات، وقد نوه الكاتب بذلك خلال عرضه للشخصية وتقديمه لها بطريق مباشر حيث قال في معرض وصفه « لعبد الحميد » : « وشيء آخرلابد أن يكون له مكانة في موحيات هذه الشخصية، ذلك هو التزامه حدود النصوص المحكمة من الكتاب والسنة، فلا يقبل أي قول يتنافي معهما، ولا يرتضي أي نوع من العبادة لم يرد به أمر أو ندب من هذين المصدرين الأعليين، ومن هنا كان نفور « عبد الحميد » من كل ألوان البدع التي يقبل عليها الآخرون ». [٢]

وكما تدفع المؤثرات إلى سلوكيات إيجابية تدفع إلى سلوكيات سلبية، فوالد « محمود » في قصة « اللقاء السعيد » يجاهد ليمنع ابنه من الالتزام بسلوكيات الإسلام ومبادئه، وقد مهد الكاتب لهذا السلوك السلبي فقد تلقيناه من خلال براثن الحوار الذي دار بين الأم وابنها محمود، وهي تشير إلى ما طرأ على الأب من تغير : « ولكنها أميركة يا بني..... أميركة التي تجر العالم إلى الدمار.....أنسيت ما صنعت أميركة بأبيك !..... ألم يهاجر إليها لمجرد العمل والاستزادة من العلم، فإذا هي تسلخه من هويته، ثم تجرده من دينه ومن أبوته !! ». [٣]

فهذا الوصف السابق لما طرأ على الأب من متغيرات بسبب السفر إلى أمريكا، كان نقطة ارتكاز هامة في تفسير شخصية « الأب » وسلوكه وعلاقته بابنه في

(١) فن القصة – د/ محمد يوسف نجم – ص ٥٢.
(٢) مجموعة « اللقاء السعيد » ص ١٥٣، ١٥٤.
(٣) المصدر السابق ص ٢١ بتصرف.

أمريكا، هذه العلاقة التي ساءت حتى افتقدت معناها الأخلاقي، فقد طرد « الأب » ابنه من المنزل حين رفض الرضوخ لأوامره.

وتختلف طريقة عرض المؤلف للشخصية من قصة لأخري، فهو يلجأ أحياناً إلى استخدام الطريقة المباشرة « التحليلية » في عرضه للشخصية وتحليل سلوكها خاصة إذا تناولت القصة حياة الشخصية منذ الطفولة إلى الشباب، فهو حين يتناول شخصية « عبد الحميد » في قصة « ثمرات الإيمان » وشخصية « منيب » في قصة « من دمشق إلى الفلبين » يصف كل شخصية وصفاً مباشراً لكثير من جوانبها، ولكنه يميل إلى الطريقة التمثيلية في بعض المواقف التي تكشف الشخصية من الداخل إلى الخارج، وتلقي الضوء على ما طرأ عليها من متغيرات تكتنفها الأحداث، ففي قصة « الحل الأفضل » توالت المواقف التي تأرجحت علواً وهبوطاً بشخصية « أبي مرشد » الذي يصارع نفسه الأمارة بالسوء، ومن خلال استخدام المؤلف لتيار الوعي حيناً، وللأحداث وتوترها حيناً آخر تراءت أمامنا الشخصية تتقاذفها الأهواء والمواقف إلى أن وصلت إلى "الحل الأفضل ".... وهكذا نري التوافق الذي شمل شخوص قصصه، والملائمة التي كفلت القناعة بها، بما أضفاه على تكوينها وسلوكها من واقعية.

*** الشخصية والبعد الاجتماعي :**

« تتحرك بعض القصص حول المحور الاجتماعي، متخذة من واقع الإنسان، وعلاقته بالآخرين من حوله أساساً لتحريك مادة النتاج القصصي(١)، فالشخصية ما هي إلا جزء من هذا المجتمع تتحرك خلال أبعاده وتتآلف مع شخوصه القريبة والبعيدة في إطار العلاقات الاجتماعية والبيئية التي تحيط بها، وتتنوع العلاقة بين الشخصية والآخرين في أطر اجتماعية يكتنفها الهدوء حيناً والتوتر حيناً آخر، فهي في شد وجذب وتفاعل مع المجتمع.

وبنظرة شمولية لشخصيات مجموعة « اللقاء السعيد » نلاحظ أن المؤلف يحدد جانباً من حياة الشخصية يلقي عليه الضوء، فيرصد ما يعتمل في باطنها، وما يجول بنفسها من صراع، ولم يغفل أن يربط بين عالم النفس الداخلي والعالم الكبير حيث المجتمع وحيثياته وظروفه وحوادثه، فرسم بدقة ردود أفعالها ومدي تأثرها بالعوالم المحيطة، حيث أن لكل مجتمع خصائص وأبعاد قد تدفع الشخصية إلى التحدي حيناً أو الاستسلام حيناً آخر تبعاً لمكونات الشخصية وطبيعة المشكلة التي تواجهها.

فإذا نظرنا إلى شخصية « أوسمان » وهي من الشخصيات القصصية النامية، نلاحظ أن المؤلف يكشف عن الأبعاد الاجتماعية المحيطة بالشخصية منذ النشأة وإلى مرحلة الشباب، فهو من الأتراك الذين عاصروا ظلم السلطات الكمالية في مرحلة طفولته، وكان الشعب التركي يعيش حالة من التوتر والتناقض بين التأييد والاعتراض ، فانعكست هذه الأحداث والظروف الاجتماعية على الشخصية، « فشحنت صدره بالكثير من التناقضات التي لم يستطع مزايلتها حتى الساعة.....إذ

(١) البناء الفني في القصة السعودية المعاصرة – « دراسة نقدية تحليلية » – د/نصر محمد عباس – ص ٤٠ / ط ١٤٠٣هـ– / ١٩٨٣م.

كان عليه أن يتلقي كل ما يمليه عليهم مدرسوهم المتحمسون لأتاتورك بالتسليم المطلق، على أنه الحق الذي لا يأتيه الباطل، وهم أينما تحركوا بين أرجاء « أنقرة » واجهتهم تماثيله مؤكدة تلك المعاني، مرسخة إياها في أعماق تصوراتهم، حتى إذا عاد إلى البيت سمع من والده كل تكذيب لتلك الدعاوي، بل ربما تجاوز التكذيب إلى الاتهام بالإلحاد والخيانة ». (١)

مثل هذه المفارقات التي أحاطت بالشخصية، بالإضافة إلى حالة الإحباط النفسي الذي أصابه نتيجة لإصرار والده على تركه للدراسة رغم ذكائه و تفوقه ..... دفعه للاستسلام والخنوع للوافد الفكري الغريب الذي جعله يتنصل من كل الأنظمة المتوارثة ولاسيما القيم الدينية والأخلاقية، ومن هنا نلاحظ أن الكاتب ربط بين أبعاد المجتمع وخصائصه، وما واجهته الشخصية من مفارقات وصراعات نفسية غيرت مسارها في الحياة.

وينوع الكاتب في رسم العلاقات الاجتماعية التي تتمثل في دائرة العلاقات المحدودة حيث المجتمع الصغير وهو الأسرة، والعلاقات الأكثر اتساعاً وشمولية والتي تضم المجتمع ككل، فإذا كان « أوسمان » قد أصابه التناقض النفسي فهو نتيجة للمتغيرات الطارئة على مجتمعه الكبير، وعدم التوازن بينه وبين أسرته التي تمثل عنصر توجيه مناقض لسلبيات دفعه المجتمع إلى الانخراط في شعابها، فخرج من هذه المعركة شخصية مشوهة الرؤى فترة من الزمن.

وإذا نظرنا إلى « فاضلة » في قصة « حياة جديدة » نجد أن واقعها الاجتماعي دفعها للقيام بثورة على نفسها ثم مجتمعها، فالخواء النفسي الذي ضم جوانب حياتها وضعها في إطار سلبية دفعتها إليها النشأة وأسلوب التعليم، ودعمها تجاوب المجتمع الأكثر رحابة مع هذه السلبية، حيث افتقدت القدوة الصالحة، ومن

(١) مجموعة « اللقاء السعيد » ص ١٨٥.

ثم فقد احتاجت إلى تدعيم قوي لمواجهة الحياة بصورتها الجديدة، فكانت في حالة توتر وشد وجذب مع أفراد المجتمع لتواصل سيرها بخطي ثابتة دون تراجع.

. **التنوع والشمول في الشخصيات :**

من خلال تتبع سمات كل شخصية في المجموعة، رأينا تنوعاً في اختيار الشخصيات، فقد قدم شخصياته من أطياف مجتمعه المتنوعة، فنري بين شخصيات المجموعة الصغير والكبير، الشاب والشيخ العالم والجاهل، قوي الإيمان وضعيفه الإيجابي والسلبي، الخيِّر والشرير، كما قدم نماذج متعددة للمرأة..... الأم والزوجة والابنة والأخت والصديقة، وفي صور مهنية متعددة فهي معلمة وممرضة وطبيبة وربة منزل، قدم المرأة المتوازنة والمرأة المنساقة خلف شهوات الدنيا، فهو يعرض النموذج من أوجه متعددة وجوانب مختلفة ليحقق الواقعية الإسلامية في رسمه لشخصياته، ولهذا لم يغفل تصوير جانب الشر في بعض شخصياته، فنظافة الشخصيات « لا تعني تزوير الشخصيات البشرية، وإغفال جانب الشر والرذيلة في الحياة، فقد رأينا عكس هذا في شمول الواقعية الإسلامية »[١]، فتمثيل القيم والمبادئ تحتاج إلى تنوع النماذج وشمولها، « فعندما نريد أن ندرس قدرة الكاتب على أن يجعل شخصيات قصصه تتمثل ما يريد تصويره من المبادئ، فإن أوضح النماذج التي تستطيع أن تصور هذا الأمر هي الشخصيات الخيرة، والشخصيات الشريرة على السواء ». [٢]

نري الكاتب في مجموعته قد قدم رؤيته للعالم الغربي من خلال شخصية « الأب » في قصة « اللقاء السعيد » والذي انساق خلف شهوات المادة تاركاً

(١) خصائص القصة الإسلامية، د/ مأمون فريز جرار – ص ٢٥٦ – دار المنارة – ط الأولي – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

(٢) الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية، د/ عبد الله العريني – ص ١٩٦.

مبادئ وقيم الإسلام، وعلى النقيض كان الابن، الذي ظل محتفظاً بأخلاقه ومبادئه الإسلامية في مواجهة التحديات التي قابلته من جهة الأب والمجتمع الغربي.

وتتراءى لنا الشخصيات النسائية في قصة « بين مشهدين » مجموعة متنوعة من الشخصيات النسائية..... منها الخيرة التي اتبعت طريق الهداية بعد فترة من الضلال، وهي الشقيقة الصغرى لمحمود وصديقاتها ومنهن من أصرت على موقفها من إتباع الهوى والشهوات الكبرى، مدعية أن هذا الطريق هو التطور وأن التمسك بمبادئ الدين سذاجة.

فهذا التنوع ملمح أساسي من ملامح واقعية الشخصية في القصة الإسلامية، فالمجتمع ليس خيراً محضاً ولا شراً محضاً، وإنما هذا وذاك، فالقصة تحقيق للواقع، ولكن بصورة جديدة يظهر خلالها قلم الكاتب يرسم شخوصه ويلاحقها بتصويره لأبعادها تحليلاً وتمثيلاً في إطار من واقعية الحدث والأداء.

الأسلوب

الأسلوب الفني وحدة متناسقة كقطعة موسيقية متآلفة منسجمة، فهو يقاس بمجموعه لا بمفرداته، وما زال كثير من النقاد إذا أراد أن يقرظ أسلوباً يقول إنه قوى العبارة، مشرق الديباجة، جزل اللفظ، وما شابه ذلك من الأوصاف المقتبسة المتوارثة، وهذا تقدير خاطئ للأسلوب، فالأسلوب الجيد هو الأسلوب الحي، وتقاس جودته بمقدار ما ينبض من حياة، ويختلف هذا النبض باختلاف المواقف في القصة».[١]

وهذا الأسلوب النابض بالحياة لا يخلو من موسيقي لفظية تجذب القارئ، وها هو « جورج ديهاميل » يقدم نصائحه إلى الكتاب الناشئين فيقول : « ليكن اللحن في أول كتبكم رائعاً، يجب أن تجذبوا القارئ في غير تعثر ولا مشقة، وهو لم يعرف بعد شخصياتكم الروائية، ولا تمتلكه وقائع قصتكم، أو قوة تصوركم، أو صدق نظركم النفسي، ليكن في موسيقي الأسلوب ما يسهل له الأخذ في المغامرة ». [٢]

والأسلوب جزء لا يتجزأ من كيان الكاتب وعصره وبيئته..... يقدم خلاله أفكاره وشخوصه دون لجوء إلى تعبيرات محفوظة أو تقعر وإغراب في اللغة، وبنظرة ثاقبة إلى مجموعة « اللقاء السعيد » نلتقي بكاتبنا « محمد المجذوب » وهو ينتقل بأسلوب رشيق جذاب، كاشفاً عن رؤيته، واصفاً لشخوصه، محركاً لأحداث القصة بمرونة تتفق وقدراته الإبداعية.

---

(١) القصة من خلال تجاربي الذاتية – عبد الحميد جودة السحار – ص ١٥ بتصرف.

(٢) الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني، د/ حلمي القاعود – ص ١٠٣ – ط دار البشير ١٩٩٦م.

الوصف :

إن طريقة إبداع القصة القصيرة لا تمنح الكاتب حيزاً مناسباً لوصف شخوصه وأماكنها، وما يطرأ عليها من تغيرات، ومن هنا فإنه يلجأ إلى التركيز في العبارة، وخاصة في السرد الذي يحمل عبء الوصف المباشر.

ويتراءى لنا المؤلف وقد امتزجت عباراته السردية بالمنولوج الداخلي في تناغم عجيب يكشف عن عواطف الشخصية، وما يعتريها من قلق وتوتر وصراع، مما يدل على معايشة الكاتب للشخصية، وقدرته على تجسيد انفعالاتها، فإذا به يخرج بالشخصية من إطار الجمود إلى الحياة الواقعية.

ها هو ذا يصور شخصية « محمود » في قصة « اللقاء السعيد » عند لقاء والده في المطار، وما اعتراه من قلق وألم نتيجة لأمر خفي لم يدركه بعد، فقد « حمل حقيبته الصغيرة باتجاه القاعة مع الناس، وقد جعلت دقات قلبه تنساب في أنامله، وكأن ثقلاً غير منظور يضغط على صدره، فيشيع في رأسه طلائع دُوار لا يدرك له سبباً..... وتساءل في جزع : أين أمضي إذا لم أجده !..... لن أكون إذن أكثر من قطرة تسقط في جوف المحيط..... ». (١)

فالعبارات تشف عن إحساس عميق بحيرة « محمود » واضطرابه..... فهو أمام عالم جديد لا يعلم عنه شيئاً، تنتظره أماكن وأحداث مجهولة، وهو يتعلق بأمل وحيد اعتقد أنه سيكون المنقذ من الغرق في محيط العالم الجديد وهو الأب، فتتعانق في مخيلته أفكار كثيرة يشوبها اضطراب لما بينها من تناقض، فهو يخاف من عالمه الجديد المتمثل في أمريكا والمتجسد في شخصية الأب، ويجد في نفسه

(١) مجموعة « اللقاء السعيد » ص ٢٤.

رغبة عميقة في السعي إليه، بل وينتظر لحظة وصوله إلى أمريكا ورؤية الأب حيث يريد منه تفسيراً لغيابه سنوات طويلة.

وتتراءى لنا لغة الكاتب تتهادى في استحياء لتطلعنا على الصلات الإيمانية والعلاقات الروحية التي تربط بين شخصياته، وقد يميل إلى التصريح بها كما في قصته « ثمرات الإيمان » حين يكشف عن الصلة الروحية التي تربط بين عبد الحميد وشيخه « المختار » فقد « ارتفع الشيخ بنظر عبد الحميد إلى مستوى الأُبوة، فهو يبره كأبيه وأمه، ويجد في قربه رَوْحاً من السعادة كالذي كان يحسه بجوار والده..... ويزيد من تعلقه بالشيخ ذلك السمو الذي يتملاه في حديثه وسلوكه، وبخاصة هذا الزهد الذي يسمو به على حطام الدنيا..... فيحس أنه ينطبع بخلائقه بالقوة نفسها التي يجدها في تعليمه..... وشيء آخر لابد أن يكون له مكانة في موحيات هذه الشخصية، ذلك هو التزامه حدود النصوص المحكمة من الكتاب والسنة فلا يقبل أي قول يتنافي معها ولا يرتضي أي نوع من العبادة لم يرد به أمر أو ندب من هذين المصدرين الأعليين ».[1]

نلاحظ أن عبارات الكاتب تكشف بوضوح عن الصلة التي تربط عبد الحميد وشيخه، فقد تجاوزت علاقة التلميذ بأستاذه إلى صلة روحية أسمي، فقد أخذ مكانة الأب، ولنتأمل قوله : « ويجد في قربه رَوْحاً من السعادة »، فاللغة هنا ناطقة بالمشاعر مجسدة للانفعال الذي يشمل عبد الحميد عند قربه من شيخه، بل يكشف عن قوة أخري تربطه به، ناتجة عن إعجابه الشديد به إلى أن صار قدوته، وقد « زاد من تعلقه به ذلك السمو الذي يتملاه في حديثه وسلوكه »، ثم يكشف بعد هذه العمومية عن خصوصية الدافع الذي تمثل في الصفة التي جذبت عبد الحميد إلى شيخه وهي « هذا الزهد الذي يسمو به على حطام الدنيا» فإذا تأملنا تعبيرات

(١) المصدر السابق ص ١٥٣.

الكاتب رأينا فيها تناغماً يعلو وينخفض مع إيقاعات الوصف والإيحاء الذي يتجاوز الواقع المحس إلى روحانية تسمو على العلاقات الإنسانية المحدودة، فتقرب بين أرواح تحابت في الله اجتمعت عليه وتفرقت عليه.

وقد تظهر الصلة بين الشخصيات، ويكشف الكاتب عن عواطفها وتحولاتها بطريقة غير مباشرة، وذلك عند لجوئه إلى عنصر الحوار.

الحوار :

« الحوار جزء مهم من الأسلوب التعبيري في القصة، وهو صفة من الصفات العقلية التي لا تنفصل عن الشخصية بوجه من الوجوه، ولهذا كان من أهم الوسائل التي يعتمد عليها الكاتب في رسم الشخصيات، وعلاوة على ذلك، فكثيراً ما يكون الحوار السلس المتقن مصدراً من أهم مصادر المتعة في القصة، وبواسطته تتصل شخصيات القصة بعضها بالبعض الآخر اتصالاً صريحاً مباشراً، وبهذه الوسيلة تبدو لنا وكأنها تضطلع حقاً بتمثيل مسرحية الحياة، والحوار المعبر الشيق سبب من أسباب حيوية السرد وتدفقه ». (١)

والحوار يستعمل أحياناً في تطوير الحوادث، واستحضار الحلقات المفقودة منها، إلا أن عمله الحقيقي في القصة هو رفع الحجب عن عواطف الشخصية وأحاسيسها المختلفة، وشعورها الباطن تجاه الحوادث أو الشخصيات الأخرى، وهو ما يسمي عادة بالبوح أو الاعتراف، على أن يكون بطريقة تلقائية تخلو من التعمد والصنعة والرهق والافتعال ». (٢)

(١) فن القصة – محمد يوسف نجم – ص ١١٧.
(٢) المرجع السابق ص ١١٨.

وقد تميز الحوار في هذه المجموعة القصصية التي بين أيدينا بالواقعية، فأسلوب الحوار بين الشخصيات يتفق وطبيعتها، كما يتفاوت إيقاعه وسرعته وفقاً للانفعال الذي يعتري الشخصية، فهو حوار حي متدفق في يسر وبساطة تتفق ومألوف الحياة مع فنية الإبداع والتوظيف.

ولننظر إلى الحوار الذي دار بين فاضلة وزوجها في قصة « حياة جديدة » وهي تحاول جاهدة جذب زوجها إلى حياتها الجديدة..... بينما هو متمسك بترك الصلاة وتدخين السجائر وإدمان الخمر والقمار، فكان مما جاء في هذا الحوار:

« غرقت الغرفة في غمرة من الصمت الثقيل لم يقطعه إلا صوت المؤذن من المسجد القريب يرجّع في نغم مؤثر « الله أكبر..... الله أكبر » فإذا الرجل ينهض بسرعة ليرتدي سترته، وجعل يردد، وكأنه يخاطب نفسه : « كدت أنسي أن هناك شاحنات أخري ستظل بعد العصر ».

ـ وفي شيء من العصبية لم تستطع إخفاءه انتصبت واقفة لتقول : « هذه الشاحنات لا نهاية لها..... ولكنها ليست وحدها صاحبة الحق في وقتك ».

. واستدار باتجاه المخرج وهو يقول : « دعيني الآن من تحقيقاتك »

. وتحاول أن تتمالك ما استطاعت، واقتربت منه حتى وضعت معصمها على كتفه، ثم جعلت تقول في جَرْس راعش « يا عزيزي..... دعني أسألك..... كلمات يسيرة صغيرة..

. قوليها بسرعة..

. لا بل في أناة يا أبا فتحي..

. وجعلت تضغط على ذراعه حتى عاد إلى مقعده.... وقبل أن تحرك شفتيها بكلمة أثبتت في وجهه نظرة محت عن جبينه الأسمر ذلك العبوس الذي حاول أن يصطنعه، ومضت تحاوره :

ـ يا أبا فتحي.... نشدتك الله إلا ما أجبتني بصراحتك المعهودة، هل تعلم أني أُعزك وأخلص لك ؟

. وفي غير تردد أجاب : أعلم ذلك..

. وتعلم أني أدعوك إلى سعادتك حين أدعوك إلى الله ؟

. أ عـ... لـ... م.

. فعلام إذن هذا التشبث بمعصيته ؟ علام توثر شقاءك على سعادتك ؟

. وتساقطت هذه الكلمات على سمعه كأنها إشارات وافدة من وراء الواقع.. فهو يري من خلالها أكثر مما يسمع... وعبثاً حاول التعقيب عليها فلم يستطع تحريك شفتيه.. وتابعت « فاضلة »...

ـ يا أبا فتحي.. نشدتك الله... هل يرضيك أن ينشأ بنوك على مثل سلوكك هذا المستهتر التائه البعيد عن الله ؟...

. واستمر في صمته.. ولكنه لم يتمالك أن يهز رأسه بإشارة النفي.. ». (١)

يتراءى لنا من خلال الحوار السابق، أن لغة الحوار وما يشوبها من انفعال وتوتر تارة، وهدوء تارة أخري.. كشف كثيراً من جوانب الشخصيات المشاركة في الحوار، « ففاضلة » امرأة قوية، وزوجة مخلصة تدافع عن زوجها وأولادها بثبات، والزوج رغم اندفاعه في ملذات الحياة وحصد شهواتها إلا أنه استجاب لزوجه

(١) مجموعة « اللقاء السعيد » ص ٥٣، ٥٤، ٥٥.

ورضخ لها، فقد استمالته بأسلوب الإقناع، وقد أدار كاتبنا الحوار بلغة رصينة، وفي نفس الوقت تخلو من التقعر والإغراب، وهو بلا شك تجاوز لغة الواقع إلى لغة فصيحة، ولكن هذا لا يقلل من واقعية الحوار، ولا من أهميته ودوره في القصة، حيث أن واقعية الحوار لا يشترط لها اللغة العامية - مع اختلاف الآراء في ذلك - ولكنني أري أن الكاتب تخلص من العوائق التي تحول بين الشخصية وبين التعبير بهذه الألفاظ، فالحوار يخلو من الألفاظ الفخمة والتعبيرات الخلابة التي تعجز شخصية من العوام أن تأتي بمثلها، ولكنه حوار شيق نابض بالحياة كشف عن الشخصية وحرك الأحداث بألفاظه وعباراته بل وبلحظات الصمت التي اعترت الشخصية خلال الحوار، فكان موقعه في القصة فعالاً، وقد التحم السرد بالحوار ليهيىء الجو المناسب لرسم الشخصية والتعبير عن الحياة الواقعية الإسلامية كما يجب أن تكون في القصة.

التضمين :

للتضمين دور مهم في الكشف عن جوانب أساسية في الشخصية والتعليق على كثير من مواقفها، وقد يستخدمه الكاتب في عباراته الحوارية لما له من دور في تحول الشخصية وتوجهها في الحياة، وخاصة حين يتضمن الحوار أو السرد بعض آيات من القرآن الكريم، فتشكل جزءاً لا يتجزأ من البناء الفني للقصة.

وقصص مجموعة « اللقاء السعيد » قلما تخلو من آية قرآنية أو حديث شريف أو اقتباس من كليهما، ولا يخفي ما لهما من دور في تحول بعض الشخصيات وتغيير اتجاهها في الحياة، كما في قصتي « حياة جديدة » و « الحل الأفضل » « ففاضلة » تتحول من امرأة تتكالب على الانغماس في الدنيا والاستمتاع بمنافعها المادية، إلى حياة جديدة يحفها الإيمان وتتجاذبها الفضائل،

ويرجع ذلك إلى استظهارها لآية كريمة من آيات القرآن الكريم وهي: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ (١)

ويتحول « أبو مرشد » من التردد في إخراج الزكاة إلى الإصرار على إخراجها، ومغالبة نفسه عند سماعه لقوله تعالى :﴿ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ (٢)، وينتهي التردد وتستقر نفسه عند سماعه للإمام يقرأ : ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (٣)، فلم يجد حلاً سوي تكبيل نفسه بالقيود حتى يخرج أبناؤه الزكاة ليمنع نفسه عن المعصية، فاستجاب فتيانه لطلبه وعلى لسان أحدهما قول رسول الله ﷺ : « **عجب ربنا تعالى من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل** ». (٤)

فنلاحظ أن تضمين السياق آيات من القرآن الكريم، ثم التعليق على الموقف بالحديث الشريف شكّلا جزءاً مهما من البناء الفني، لما له من دور بارز في تحول الشخصية وتحريك الأحداث، هذا بالإضافة إلى وقعه المؤثر الجذاب وما أضفي

(١) سورة المؤمنون آية ١١٥.
(٢) سورة التوبة آية ٣٤.
(٣) سورة التوبة آية ٧٥، ٧٦، ٧٧.
(٤) مجموعة « اللقاء السعيد » ص ١٤٨.

على الأسلوب من موسيقية تعبيرية تهيئ القارئ إلى استشراف الموقف والتأثر به والتفاعل مع الأحداث.

وقد يتأتي للكاتب أن يضمن الحوار آية قرآنية إضاءةً للموقف، فتكون في موقعها ذات إيقاع وتأثير يدركه القارئ لأول وهلة، ويستشعر دوره في إذكاء الحل كما في قصة « اللقاء السعيد » حيث لحظة الانفراج التي أعقبت أزمات القصة، وما تعرضت له شخوصها من آلام متمثلة في فقد العائل والاغتراب، ويلتقي الجميع في بيت الله الحرام « وتستعيد المرأة وولداها وقائع الأحداث التي انتهت بهم إلى هذه العاقبة البهيجة، فلا يراودهم شك في أنها رعاية الله تحفهم فتملؤهم يقيناً بأنهم ليسوا وحدهم في هذه المعركة التي جرهم إليها ذلك الهاجر الظالم، وأنه تعالى معهم أبداً بهدايته ورحمته ما داموا متمسكين بطاعته.

. وفي خشوع عميق تتلو الأم قول العزيز الرحيم : :"ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب" (١)"(٢)

فنلاحظ التوافق بين مضمون الآية ووقائع الأحداث، مما يجعلنا نستشعر الواقعية الإسلامية تحف برؤية الكاتب.

وقد تأتي الآية القرآنية لتحل محل الجملة الحوارية، فتؤدي المضمون والغاية، بحيث لا يمكن لعبارة أخري أن تضفي على الموقف درجة التأثير التي اكتسبها من الآية القرآنية الكريمة، ويظهر ذلك بوضوح في حوار أبي سعيد مع شقيقته في قصة « بين مشهدين » حيث توجه إليها ناصحاً وموجهاً :

(١) سورة الطلاق آية ٢، ٣.

(٢) مجموعة « اللقاء السعيد » ص ٣٠، ٣١.

« واستمر الصمت المهيب يغمر أرجاء القاعة، حتى قطعه صوت « محمود » وهو يقول لأخته بمثل الهمس : إن فى حديثك لآيات تهز وتروع وتوحي... ولكن... ألست أحق الناس بالاستجابة لها ؟!...

. وأكب برأسه على صدرها يتمتم وهو يشرق بدمعه : أختاه...ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله "!! [١]

. وفي نبرات مؤثرة أجابت : بلي يا أبا سعيد لقد آن... وسنري »[٢]

ـ وهكذا جاءت الآية الكريمة متممة للحوار، مؤثرة في موقعها بما أضفته على الموقف من روحانية التعبير وإيجابية التأثير.

❁❁❁

(١) سورة الحديد آية ١٦.

(٢) مجموعة « اللقاء السعيد » ص ٧٧.

« الخاتمة »

ـ رأينا من خلال ما سبق معالجة موضوعية وفنية لمجموعة قصصية بعنوان « اللقاء السعيد » للأستاذ محمد المجذوب الأديب الإسلامي الذي احتفي بالواقعية الإسلامية التي تعني تصوير المجتمع الإسلامي وما يعتريه من قضايا ومشكلات لها آثار سلبية على الفرد والجماعة، ومن هنا فقد وظف القصة لخدمة المجتمع من خلال تقديمه لشخصيات متنوعة مجسداً ما مرت به من ضغوط وأزمات، وما قدمه من معالجة موضوعية لما تمر به هذه الشخصيات من عوائق في سبيل التخلص من أزماتها وصراعاتها النفسية.

ـ ومن خلال هذه الدراسة توصلت إلى النتائج الآتية :

١. أبدع المؤلف هذه المجموعة القصصية من زاوية تصور إسلامي للكون والإنسان والحياة، وتهدف إلى إبراز الشخصية الإسلامية كما يجب أن تكون داخلياً وخارجياً، مصوراً صراعاتها النفسية وجهادها من أجل إثبات الذات.

٢. عالج المؤلف عدة قضايا اجتماعية تمثل جانباً مما تعانيه الأمة الإسلامية في إطار من الواقعية الإسلامية الهادفة، فحرك من خلالها شخصيات قصصه، إذ جعلهم يؤثرون في الأحداث ويتأثرون بها، ولذلك فإن هذه المجموعة القصصية تعد جزءاً من الأدب الإسلامي الهادف، الذي يجمع بين إيجابية التناول والأداء الفني.

٣. من خلال الوصف المباشر تارة والإيحاء تارة أخري تجلت دوافع تغير السلوك عند العديد من الشخصيات ومنها ضعف الثوابت التي يركن إليها المسلم في التعرف على دينه، والتي ينشأ من خلالها تكوينه النفسي والفكري.

٤. من خلال الوصف الواقعي ألقي المؤلف الضوء على نقاط حيوية تمثل نقداً وتوجيهاً لكثير من السلبيات التي تظهر آثارها على أفراد المجتمع، ولم يكتف بذلك بل حاول رصد ظواهر أخري لها آثار إيجابية كانت محور عمله الإبداعي استجابة للتوجيه الإسلامي في تصوير الواقع.

٥. قدم الكاتب تجارب صادقة يحفها الوضوح والشفافية وآية الإبداع فيها ذلك التناغم بين الشخصيات والأحداث التي كشفت برفق عن الحقائق الجوهرية التي يهدف إلى إبرازها من خلال رؤية واقعية لأبعاد القضية والأزمات التي تواجهها شخصيات القصة.

٦. للكاتب أسلوبه المتميز في عرضه للشخصيات وترتيب الأحداث لإبراز الصورة التي تتوافق مع الرؤية الواقعية للموقف، وما لذلك من تأثير على القارئ بما يخلفه من انطباع بالرضا أو التعاطف والرثاء أو السخط والكراهية للشخصية.

٧. قدم الكاتب العديد من الشخصيات ذات سمات إيجابية فعالة ومؤثرة، وعمق من رؤيته الواقعية لها من خلال تفاعلها مع المجتمع، وتميزها بالتوازن الخلقي مما هيأ لها أن تكون قدوة ونموذجاً يحتذي.

٨. عمد الكاتب إلى رصد ظواهر الحياة الإسلامية ؛ لأنها تعبر عن واقع المجتمع المسلم، وما لهذه الظواهر من أثر في إضفاء مسحة دينية على أعماله تتعانق مع مضمون القصة ؛ ليؤلفا وحدة لا سبيل إلى التقصير فيها، لما لها من تأثير على القارئ الذي يتجاوب مع توجهها الإسلامي وما يعقب ذلك من انفعال وتأثر بها.

٩. تنوع البناء الفني لمجموعة « اللقاء السعيد » بما يتوافق وطبيعة الشخصيات وترتيب الأحداث وأهميتها.

١٠. تجاوز الكاتب في رسمه للعلاقات الاجتماعية دائرة العلاقات الإنسانية المحدودة إلى دائرة العلاقات الأكثر اتساعاً وشمولاً، استجابة لعمق التأثير الاجتماعي الذي ينسحب من الخصوص إلى العموم.

١١. تميز أسلوبه بسهولة التعبير ووضوح المعني فلغته لا تتجاوز الشخصية، وما يحيط بها من مواقف، وبالتالي لم يفتقد عنصر الواقعية في التعبير مع استخدامه للغة الفصحى.

المصادر والمراجع

١. الاتجاه الإسلامي في قصص نجيب الكيلانى د/ عبد الله صالح العريني . ط الثانية . ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٥م . الرياض . دار كنوز إشبيليا.

٢. الاتجاهات الواقعية في القصة المصرية القصيرة « دراسة في المضمون والبناء الفني » د/ محمود الحسيني المرسي . دار المعارف . ١٩٨٤م.

٣. البناء الفني في القصة السعودية المعاصرة « دراسة نقدية تحليلية » . د/ نصر محمد عباس ط ١٤٠٣هـ . ١٩٨٣م.

٤. خصائص القصة الإسلامية . د/ مأمون فريز جرار ط الأولي ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م . دار المنارة . جدة.

٥. فن القصة . د/ محمد يوسف نجم . ط دار الثقافة . بيروت . سلسلة الفنون . بدون تاريخ.

٦. القصة من خلال تجاربي الذاتية . أ/ عبد الحميد جودة السحار . ط دار مصر للطباعة . ١٩٩٠م.

٧. الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد . د/ أحمد بسام ساعي . ط دار المنارة . جدة . بدون تاريخ.

٨. الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني د/ حلمي محمد القاعود . ط دار البشير . الأردن . ١٩٩٦م.

٩. « اللقاء السعيد » « مجموعة قصصية » . أ/ محمد المجذوب . ط الأولي . ١٤٠٢هـ . ١٩٨٢م.

١٠. مع القصة القصيرة . أ/ يوسف الشاروني . الهيئة العامة للكتاب . ط ١٩٨٥م.

١١. من بدائع الأدب الإسلامي . د/ محمد بن سعد الدبل . ط دار البلاد . جدة « من إصدارات النادي الأدبي بالمدينة المنورة » . بدون تاريخ.

١٢. موسم البحث عن عن هوية . د/ حلمي محمد القاعود . الهيئة العامة للكتاب . ١٩٨٧م.

١٣. النقد الإسلامي المعاصر . د/عماد الدين خليل / ط الأولي . بيروت . ١٣٩٢هـ . ١٩٧٢م.

فهرس

الموضـــــــــوع	الصفحة
?لمقدمة	٧١
المبحث الأول :	٧٣
? - ?لتعريف با موعة ?لقصصية « ?للقا? ?لسعيد » لمحمد ? ذ? ?..	٧٤
? - ?لو?قعية ??لتصو??لإسلامي	٧٦
المبحث الثاني : ?لقضايا ?لاجتماعية من منظو??سلامي	٨٠
??لا: ?لمر?? بين ?لتحر ? ??لالتز??	٨٢
ثانيا: مو?جهة ?لضغو ??لاجتماعية.....	٩١
ثالثا: ?لتكافل ?لاجتماعي	١٠١
المبحث الثالث : توظيف?لقصة ? خدمة? تمع ??لدعو??لإسلامية	١٠٦
?لانطبا? ??لتأثـ ?	١٠٨
?لشخصية ?لقد??	١١١
جـ- عر ? مظاهر ?لحيا??لإسلامية	١١٣
?- ?لحلو ??لإ ?لابية لكثـ ? من ?لمشكلا ?	١١٦
المبحـــــث الرابـــــع : ?لشـــــكل ?لفـــــ ? موعـــــة « ?للقا? ?لسعيد »	١١٨
أولاً: ?لبنا? ?لف ?	١١٩
ثانياً: ?لشخصيا ?	١٢٥
ثالثاً: ?لأسلو ?	١٣٣
?لخاتمة	١٤٣
?لمصا?? ??لمر?جع	١٤٦
فهر ??لمحتويا ?	١٤٨